مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية	Sana'a University Journal of Human Sciences	
https://jpurnals.su.edu.ye/jhs	Vol. 2 | No. 2 | Page 285 – 334 | 2023 |	

قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الملحقة بمسجده الجامع في مدينة صعدة، دراسة أثرية معمارية مقارنة

Dome of the shrine of Imam Al-Hadi Yahya bin Al-Hussein bin Al-Qasim Attached to his comprehensive mosque in the city of Saada, an archaeological study

أ.د. إبراهيم أحمد محمد المطاع

قسم الآثار – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء

Prof. Dr. Ibrahim Ahmed Mohammed Al-Motaa

Department of Archeology
Faculty of Arts & Humanities - Sana'a University

ISSN : 2958-8677

الملخص:

هذا البحث دراسةً أثرية تحليلية مقارنة لتخطيط وعمارة أقدم قبة ضريحية أقيمت في اليمن، وألحقت بجامع الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، وهو أول جامع أقيم في مدينة صعدة – المدينة التي اختطها الإمام الهادي صاحب القبة الضريحية موضوع الدراسة.

أمكن للباحث، من خلال المصادر التاريخية، تتبع تخطيط وعمارة هذه القبة التي أقيمت على قبر الإمام الهادي إلى الحق بعد وفاته سنة 298هـ (911م). وكان شائعًا أن أقدم قبة أقيمت في اليمن ضمن منشأة دينية هي القبة الملحقة بمسجد فروة بن مسيك في صنعاء، وأن أول من أقام قبة ضريحية على قبر الإمام الهادي هو الإمام المهدي علي بن محمد بين عامي (750 – 773هـ) الموافق (1349 – 1371م).

وقد تأكد للباحث، وفقاً لهذه الدراسة، أن أول من أقام قبة ضريحية على قبر الإمام الهادي إلى الحق هو ابنه الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي عندما وسع جامع أبيه من جهة الشرق بين عامي (299 – 325هـ)، لتظل هذه القبة قائمة حتى هدمها القاضي مطهر بن تريك، المتوفى سنة 748هـ الموافق (1347م)، وأقام مكانها قبة جديدة. ولأن القبة الثانية اقيمت فقط على قبر الإمام الهادي إلى الحق وابنه الإمام المرتضى محمد، فقد هدمت وعمرت من جديد بأمر من الإمام المهدي علي بن محمد قبل عام 773هـ الموافق (1371م)، وألحق بها ثلاث قباب ضريحية على قبور كلٍ من الإمام الناصر أحمد بن الهادي، من جهة الغرب، والإمام المختار ابن الإمام الناصر ابن الهادي إلى الحق، من جهة الشرق، والشهداء الطبريين من جهة الجنوب.

وظلت هذه القباب قائمة دون تعيير حتى جدد عمارة قبر ضريح الإمام الناصر الأمير أحمد بن القاسم سنة 1030 (1621م). ثم أعيد بناء قبة الإمام الهادي والقباب الملحقة من جديد على يد علي بن أحمد بن القاسم بعد اختلال عمارتها، وذلك سنة 1108هـ (1696م).

الكلمات المفتاحية: صعدة. جامع الهادي. القباب الضريحية. قبة ضريح الإمام الهادي.

Abstract:

The current research is a comparative analytical archaeological study of the planning and architecture of the oldest shrine dome erected in Yemen and attached to the mosque of Imam Al-Hadi To Al-Haq "Yahya Bin Al-Huseen Bin Al-Qasim", the first mosque erected in Sa'da, the city which was planned by Imam Al-Hadi the owner of the shrine dome - the subject of the present study.

The researcher was able to track the planning and architecture of this dome, which was erected over the tomb of Imam Al-Hadi after his death in 298 H (911 AD) in accordance with the historical sources. It is commonly known that the oldest Yemeni dome erected within a religious facility was the dome attached to Farwa Bin Musik Mosque in Sana'a, and the first who erected a shrine dome over the tomb of Imam Al-Hadi was Imam Al-Mahdi Ali Bin Muhammad between 750 & 773 H (1349 & 1371 AD). However, according to this study, it was confirmed to the researcher that the first person who erected a shrine dome over the tomb of Imam Al-Hadi was his son Imam Al-Nasser Ahmed when he expanded his father's mosque from the east side between the hijri years (299 and 325 H). This dome remained standing until it was demolished by the Judge Mutahar Bin Trik, who died in 748 H (1347 AD). Later on, judge Trik erected a dome in the place of the oldest one but with a different architecture design than the first dome.

Again, the dome was demolished and rebuilt upon an order of Imam Al-Mahdi Ali Bin Muhammad Before 773 H (1371 AD) Because It Was Only Erected Over the Tomb of Imam Al-Hadi. Three shrine domes were also built and attached to the new erected dome, exactly over the graves of Imam Al-Nasser Ahmed the son of Imam Al-Hadi from the west, and Imam Al-Mokhtar the son of Imam Al-Nasser from the east. And the Tiberian martyrs from the south.
These domes remained standing until the construction renewing of the shrine dome of Imam Al-Nasser by prince Ahmed Bin Al-Qasim in 1030 H (1621 AD).
As a result of the architecture disruption of Imam Al-Hadi dome and the attached domes, they were rebuilt again by Ali Bin Ahmed Bin Al-Qasim, in 1108 H (1696 AD).
Keywords: Al-Hadi Mosque, mausoleum domes, Al-Hadi dome.

المقدمة:

المَشاهد والقِباب الضريحية منشآت دينية أقامها المسلمون على قبور الأئمة وأهل العلم والصلاح. وأول ضريح تصلنا أخباره في الإسلام، هو ضريح الخليفة العباسي المستنصر المعروف باسم ((القبة الصليبية)). وانتشر بعد ذلك بناء الأضرحة على القبور في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. (الباشا، المدخل: 1990، 139).

وأقدم القباب الضريحية التي وصلنا ذكرها في اليمن _حتى هذه الدراسة_ قبتان ضريحيتان ملحقتان بمسجد فروة بن مسيك المرادي، وتؤرخان بحوالي عام407هـ (1016م). (Serjeant, Sanaa, 1979: 315)

ويعد جامع الإمام الهادي إلى الحق في مدينة صعدة [شكل رقم: 1] أقدم مسجد في اليمن ألحقت به قبة ضريحية. ثم توالى إلحاق القباب الضريحية به حتى أصبح عددها في جامع الهادي تسع قباب هي: قبة مشهد الإمام الهادي إلى الحق، [شكل رقم: (4)]، ملحق بها ثلث قباب ضريحية: هي قبة ضريح الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق [1]، وقبة الشهداء الطبريين، وقبة الإمام المختار لدين الله القاسم [2] بن الإمام الناصر بن الهادي إلى الحق. [3]،

---

(1) هو الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، قدم إلى اليمن بعد وفاة أبيه سنة 298هـ (911م). ويبدو أن قدومه كان بدعوة من أخيه الإمام المرتضى الذي كان زاهداً في الإمامة، إذ ما لبث أن تنحى عنها لأخيه سنة 301هـ (914/13م). كان الناصر شجاعا صرف جل حياته في قتال القرامطة. توفى سنة 325هـ (937م)، ودفن بجانب قبر أبيه في مسجده، وعلى قبره قبة ضريحية. (أحمد الشامي، تاريخ اليمن 1987م: 143، 144). الحبشي، حكام 1979م: 46).

(2) لم أقف له على تاريخ مولد. دعا لنفسه عقب وفاة أبيه الناصر، معارضاً أخيه المنصور يحيى، وعارضهما في الدعوة لنفسه أخوه الحسن بن الناصر الذي لجأ إلى الحرب ضدهما؛ فتصدى له المختار، واعتزل المنصور الحرب، بعد أن اشتدت ضراوة بين شقيقيه، لاسيما بعد أن استعان الحسن بزعيم همدان الضحاك بن قيس صاحب ريدة، الذي تمكن من أسر المختار، وسجنه في حصن ريدة، ومن ثم قتله في سجنه سنة 345هـ (859م).
وظل جثمانه بريدة حتى نقله إلى صعدة الإمام يوسف الداعي ابن أخيه الإمام المنصور يحيى، بعد مضي 25 سنة، ودفنه في قبره حيث هو الآن. وعلى قبره تركيبة خشبية يعلوها شاهد قبره. (المحلي، الحدائق، 2002م: ج2، 89 – 100. محمد زبارة، أئمة اليمن، ج1، 56 – 69. عبد الله المتميز، جامع الهادي، 1989م: 67 – 69).

(3) ولد الإمام المهدي علي بن محمد في الكوحب سنة 707هـ (1307م) ، وقرأ على أبيه وغيره من العلماء. وكانت دعوته من ثلا يوم الخميس شهر ربيع الآخر سنة 750هـ (1349م). استقر في صعدة للتدريس بجامع الإمام الهادي وأولاه عناية كبيرة، ومن أعماله فيه: التوسعة الأولى التي أضافت إلى بذية الجامع ثلاث بوائك عمودية من جهة الشرق. التوسعة الثانية التي زادت في مساحة الجامع من جهة القبلة، بإضافة ثلاثة أروقة. إصلاح البئر والمطاهر المغطاة (المطاهر الليلية). إعادة بناء قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، وألحق بها ثلاث قباب ضريحية هي: قبة ضريح الشهداء الطبريين من الجنوب، وقبة ضريح الإمام الناصر أحمد من الغرب، وقبة ضريح الإمام المختار من الشرق. ومن أعماله في صعدة بناء قصر المنصورة.
أصيب المهدي علي بن محمد، بعد وفاة زوجته في أخر أيامه بالشلل؛ وقيل إنه أصيب بلوثة في عقله فسقط عنه التكليف؛ وهو ما اضطر ابنه الناصر صلاح الدين إلى الدعوة لنفسه قبل وفاة أبيه، توفى الإمام المهدي علي بن محمد في ذمار في شهر ربيع الأول سنة 773هـ (1371م)؛ فنقله ابنه الناصر بنقله إلى صعدة، ودفنه في فناء جامع الإمام الهادي إلى الحق، وأقام على قبره قبة ضريحية. (إبراهيم بن القاسم، طبقات، 780- 784. الأكوع، هجر، ج4، 1886. الهادي الوزير، كاشفة، خ، ق22ب. عبد الله المتميز، جامع الهادي، 1989م: ص79. ابن أبي الرجال، مطلع البدور، 2004م: ج4، 7، 8. يحيى بن الحسين، المستطاب، ق107. يحيى بن الحسين، غاية ،1968: 524. أنباء الزمن، ص93. عبد الله المتميز، جامع الهادي، 1988: 12،11).

(المطاع، جامع الهادي، 2000م:160- 166). وقبة ضريح الإمام المهدي علي بن محمد [شكل رقم: (5)]. (المطاع، جامع الهادي، 2000م: 166-183. وقبة ضريح علي بن صلاح [4] [شكل رقم: (6)]، (المطاع، جامع الهادي، 2000م: 183-201) ملحق بها قاعة ضريح الحسين بن علي بن أحمد بن القاسم [5] ؛ (المطاع، جامع الهادي، 2000م: 201) وقبة ضريح عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي[6]،(المطاع، جامع الهادي، 2000م: 201) ثم قبة الأمير أحمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد[7]، [شكل رقم: (7)] (المطاع، جامع الهادي، 2000م: 201- 228)، وقبة ضريح محمد بن علي الغرباني[8] [شكل رقم: (8)]، (المطاع، جامع الهادي، 2000م: 228- 232).

قبة مشهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، والقباب الملحقة بها [شكل رقم: (4)]:

توفى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين سنة 298هـ (911م). ودفن جنوبي مسجده. ويقع قبره أمام المحراب الغربي في مؤخر الجامع. (ابن أبي النجم، درر الأحاديث، 1403هـ/ 1982م، 202- 205. الهاروني، الإفادة، 1417هـ/ 1996م، 145، 146. بن القاسم، أنباء، خ، 31. الجنداري، الجامع، خ، 32. الزحيف، مآثر، 611. الحجوري، الروضة، خ، 72، زيارة، أئمة، 38)

ويبدو أنه هو من اختار موقع قبره قبل وفاته لأسباب سأناقشها في حينه. ومن غير المعروف متى أقيمت قبة على قبر الإمام الهادي؛ إذ إن القبة القائمة الآن ليست القبة الأصلية؛ فقد أعيد بناؤها عدة مرات وفقاً

---

(4) هو علي بن الإمام المهدي صلاح بن محمد بن أبي القسم. ترجم له ابن أبي الرجال ترجمة قصيرة لم يذكر فيها تاريخ مولده ولا نشأته. تربى في كنف والدته السيدة فاطمة بنت الحسن بن الإمام صلاح الدين محمد بن المهدي علي بن محمد. وكانت وفاته سنة 857هـ (1534م) في اليوم الثامن من زواجه، وله من العمر ست عشرة سنة. ودفنته والدته أول الأمر في ساحة المقابر الجنوبية الغربية، حتى فرغت من بناء قبته الضريحية، ثم نقلته إليها. (أنظر): ابن أبي الرجال، مطلع البدور، 2004م: ج4، 9. محمد الحوثي، النقل الموجز، ص13. عبد الله المتميز، جامع الهادي، 1988م: 86، 87).

(5) هو الأمير الحسين بن علي بن أحمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد. لم يذكر المؤرخون له تاريخ مولد. ولاه والده بلاد رازح من صعدة، ولما توفى أبوه سنة 1121هـ (1709م)، دعا لنفسه بالإمامة، وتلقب بالمؤيد بالله، ثم ما لبث أن تنحى لما دعا لنفسه الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن المؤيد بالله من شهارة فبايعه صاحب الترجمة. توفى على إثر حملة قام بها إلى أبي عريش لنصرة صاحبها. وقيل إنه سم على يد بعض الأشراف، وكانت وفاته سنة 1125هـ (1713م). (أنظر): (حسام الدين، تاريخ اليمن، 1990م: 342 - 347. زبارة، ملحق، ج2، 85. محمد الحوثي، النقل الموجز، 19. المتميز، جامع 1997م: 87).

(6) لم أجد له لدى من ترجم له تاريخ مولد، والأرجح أنه ولد بعد الهادي إلى الحق. قدم اليمن مع أخيه الهادي؛ فكان من أكبر المناصرين له. توفى بصعدة، غير أن أحداً من المؤرخين لم يذكر له تاريخ وفاة. ورجح الأديب المؤرخ الأستاذ أحمد محمد الشامي أنه توفى في دولة ابن أخيه، الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق، أي قبل عام 325هـ، وذلك لا يتفق وتاريخ وفاته المسجل على هذا الشاهد، وهو سنة 344هـ (937م). (أنظر: ابن أبي الرجال، مطلع البدور، 2004م: ج3، 29، 30. إبراهيم بن القاسم، طبقات، 2001م: 596. المتميز، جامع، 1997م :84، 85؛ نعمان، الهادي، 1989م: 86. الشامي تاريخ، 1987م: 147).

(7) هو الأمير أحمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد. ولد في شهر صفر سنة 1007هـ (1589م)، وتربى في كنف أبيه، وما أن بلغ من العمر (21) عاماً حتى ولاه أبوه على صعدة سنة 1028هـ (1619م). وظل والياً على صعدة، بعد وفاة أبيه لأخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وبعد وفاته دعا صاحب الترجمة لنفسه، معارضاً لأخيه المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، لكنه تخلى عن دعوته؛ فأبقاه المتوكل والياً على صعدة؛ فظل على ولايته لها حتى توفى سنة 1066هـ (1655م) عن تسع وخمسين سنة. عرف عنه حبه للعمارة، ويشهد على ذلك المنشآت المعمارية التي خلفها، وأهمها: الجامع الكبير بروضة صنعاء [مخطط17]. وسمسرة العنب بسوق صنعاء. وسمسرة الأزرقين، وسمسرة ريدة، وسمسرة الغولة على الطريق بين صنعاء وصعدة. ومن أعماله المعمارية إعادة بناء قبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق، الملحقة بقبة ضريح أبيه الهادي إلى الحق. بناء القبة الضريحية التي أقامها على قبر أبيه الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد في شهارة. عن ترجمته، وعن أعماله المعمارية (أنظر): ابن أبي الرجال، مطلع، 2004م: ج1، 392- 398. إبراهيم بن القاسم، طبقات، 2001م: 131، 132. يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، 187. الجنداري، الجامع، ق144أ. الجرموزي، النبذة، 453- 458. زبارة، خلاصة المتون، 2003م: 297. الأكوع، هجر، 1995م: ج2، 1081. المتميز، جامع، 1997م: 92 –94. The Italian Archaeological Activities, 1985 p 383. ، عبد الله المتميز، جامع الهادي، ص94

(8) ولد في صنعاء في تاريخ غير معروف، وأخذ عن علمائها، وكان معاصراً للمتوكل على الله إسماعيل، لكنه لم يكن على وفاق معه؛ فغادر صنعاء إلى برط داعياً لنفسه، لكن دعوته لم تلق قبولاً؛ فغادرها إلى مكة؛ ثم عاد فاستقر بصعدة حتى وافاه الأجل بها سنة 1126هـ (1714م). (زبارة، نشر العرف، 1985م: ج3، 186 –190. الكبسي، اللطائف السنية، 270. المتميز، جامع، 1997م: 19. الأكوع، هجر، 1995م: ج3، 1593 –1598.

لما جاء في المصادر التاريخية. (ابن أي الرجال، مطلع، 1425هـ/ 2004م، 419، 420. ابن القاسم، طبقات، خ، 95)

وقبل دراسة القبة القائمة لا بد من التعرض للقباب التي أقيمت على قبر الإمام الهادي إلى الحق قبل القبة القائمة وملحقاتها. ومصدر الدراسة الوحيد في ذلك، شذرات وردت في بعض المصادر التاريخية ساعدت بحق في التعرف على المراحل المعمارية التي مرت بها كل قبة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من تخطيط وعمارة.

مراحل عمارة القبة:

ليس صحيح أن أول قبة أقيمت على قبر الإمام الهادي إلى الحق ترجع إلى عهد الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد؛ أي إلى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (14م). (علي سيف، الأضرحة، 1998م: 161- 167).

فقد أمكن من خلال هذه الدراسة إرجاع أقدم قبة أقيمت على قبر الإمام الهادي إلى الحق إلى ما قبل تلك الفترة اعتماداً على نص تاريخي أورده كل من ابن أبي الرجال وإبراهيم بن القاسم يتحدث عن قيام القاضي مطهر بن تريك بإعادة بناء قبة ضريح الإمام الهادي على غير الصفة التي كانت عليها. (ابن أي الرجال، مطلع، 2004م: 419، 420. ابن القاسم، طبقات، 2001م: 1137).

ولا تقتصر أهمية هذا النص على كونه يرجع عمارة القبة إلى ما قبل عهد الإمام المهدي علي بن محمد فحسب، بل ولأنه يعطينا تصوراً لما كانت عليه القبة قبل عمارة القاضي مطهر بن تريك، رغم أنه لم ينسبها إلى عصر. ولتتبع عمارة القبة أورد النص التاريخي نقلاً عن ابن أبي الرجال، الذي أورده ضمن ترجمة القاضي مطهر بن تريك، ونصه:

"...ومن فضائله اعتنائه ببناء القبة الشريفة بالمشهد اليحيوي المقدس على الكيفية التي هي عليها الآن على الإمام الأعظم إمام اليمن ... الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ... وكان قبل هذا الصنع على أربعة أركان لا سداد بينها ...". (ابن أي الرجال، مطلع، 2004م: 419، 420)

وتكمن أهمية النص السابق في أمرين اثنين:

1-أنه يدل على أن الإمام المهدي علي بن محمد لم يكن أول من أقام قبة ضريحية على قبر الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. بل وأكثر من ذلك يدل على وجود قبة ضريحية قبل القبة التي أقامها الإمام المهدي علي بن محمد. والمعروف أن القاضي مطهر بن تريك توفى سنة 748هـ (1347م). (ابن أي الرجال، مطلع، 1425هـ/ 2004م، 419، 420. ابن القاسم، طبقات، 2001م: 1137. زبارة، أئمة، 246. الأكوع، هجر، 1415هـ/ 1995م، 506)، أي قبل أن يدعو الإمام المهدي علي بن محمد لنفسه، وقبل أن يتخذ من صعدة عاصمة له[9]. (ابن الحسين، غاية، 1968: 515. الشوكاني، البدر، 485- 487. زبارة، أئمة، 747، 748، الأكوع، هجر، 1995م: 1866. المتميز، جامع، 1997م: 77، 78). واستناداً إلى ذلك يمكن إرجاع تلك القبة إلى النصف

(9) دعا الإمام المهدي علي بن محمد لنفسه من ثلا سنة 750هـ (1349م). (أنظر) يحيى بن الحسين، غاية، 1968م: ج2، 515؛ الشوكاني، البدر، ج1، 485– 487. زبارة، أئمة، ج1، 747، 748. الأكوع، هجر، 1995م: ج1، 261، ج4، 1866. المتميز، جامع، 1997م: 77، 78).

الأول من القرن الثامن الهجري (14م)، وربما إلى بدايته.

2-أنه يتحدث عن وجود قبة ضريحية كانت قائمة فوق الإمام الهادي إلى أن ألحق قبل القبة التي أقامها القاضي مطهر بن تريك؛ أي إلى ما قبل القرن الثامن الهجري (14م). ورغم أن النص لم يذكر اسم منشئ تلك القبة، إلا أن ذلك لا يقلل من أهميته باعتباره الدليل الوحيد على إقامة قبتين على قبر الإمام الهادي إلى الحق قبل القبة التي أقامها الإمام المهدي علي بن محمد. وفيما يلي دراسة تحليلية لتلك الأعمال المعمارية.

مشهد الإمام الهادي إلى الحق قبل عمارة القاضي مطهر بن تريك [شكل رقم: (2)، لوحة رقم: (1)]:

لم يكن بالإمكان الحديث عن القبة التي أقامها القاضي مطهر بن تريك لولا النص التاريخي السابق. واستناداً إلى ما جاء فيه يمكن أن نستنتج أنها كانت تشغل مساحة مربعة تقوم عليها أربعة أكتاف (دعامات ركنية)، بينها أربعة مداخل يعلو كل منها عقد مدبب ذو أربعة مراكز، تحمل قبة تعلو القبر. وهذا الوصف ما هو في الواقع إلا وصف للقباب الضريحية القائمة في جبانة مدينة صعدة (الباشا، المدخل، 1990م، 541، سيف النصر، دراسة، 1984، 7، شيحة، شواهد، 1988، 31، 32، سيف، الأضرحة، 299).

وقد أغفلت المصادر والمراجع التاريخية التي تحدثت باختصار عن الجامع الحديث عن تلك القبة. والنص التاريخي السابق لم يذكر اسماً لمنشئ أو تاريخاً لبناء يمكن إرجاع القبة إليه [10]. ولأن القبة من المعالم الدارسة؛ فمن غير الممكن الاعتماد على الدراسة المقارنة التي يمكن من خلالها التعرف على بانيها وتاريخ بنائها، ولذلك وضعت احتمالين اثنين:

الأول: أنها من بناء الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين. وقد بنيت هذا الاحتمال على أساس أن الجامع منذ إنشائه على يد الإمام الهادي إلى الحق، حتى عمارة الإمام المهدي علي بن محمد_ طبقاً لما جاء في المصادر التاريخية والنصوص التأسيسية_ لم يشهد أي عمارة غير عمارة كل من الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق، وعمارة القاضي مطهر بن تريك؛ فلم يذكر أي من المصادر التاريخية أن أحداً من الأئمة بعد الإمام الناصر أحمد بن الهادي، وقبل الإمام المهدي علي بن محمد؛ أي فيما بين عامي 325و 750هـ (937و 1349م) أحدث في الجامع عمارة من أي نوع.

ويغلب على الظن أن الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق لم يقم ببناء هذه القبة إلا بعد توسعته للجامع من جهته الشرقية؛ إذ يبدو أن محرابه الذي أحدثه في الجامع أضحى المحراب الرئيسي (المطاع، الهادي، 2000م: 96- 99، ابن أبي الرجال، مطلع البدور، 2004: ج4، 18، 19)، وهو ما دفعه إلى إقامة قبة على قبر أبيه بعد أن نأى عن ناظره؛ فأراد أن يميزه بتلك القبة، لتكون معلماً بارزاً يذكر الناس بالإمام الهادي فيهرعون لزيارته ليس عقب كل صلاة فحسب، بل كلما وقعت أنظارهم على تلك القبة.

الثاني: أن تكون تلك القبة من بناء الإمام عبد الله بن حمزة [11] (582- 614هـ/1187- 1201م) (المحلي، الحدائق، 157. ابن اسحق، التذكرة، خ،

[10] (راجع) النص السابق.

[11] عن الإمام عبد الله بن حمزة (أنظر): المحلي، الحدائق، 157. ابن إســحق، التذكرة: برقم 2527 تاريخ، ق161أ. زبارة، أئمة: ج1، 109، 110. الأكوع، هجر، 1995م: ج3، 1286.

ج1: 161). زبارة، أئمة، ج1، 109، 110. الأكوع، هجر، 1995م: ج3، 1286) الذي شهدت مدينة صعدة في عهده استقراراً لم يتوفر لها في عهد من سبقه من الأئمة أو من جاء بعده؛ فضلاً عن إسهاماته المعمارية التي أحدثها في المدينة [12](ابن المجاور، صفة،1986م: 206، زبارة، أئمة: 121، الأكوع، هجر، 1995م: 493، الشعبي، صعدة، 1989م: 105).

غير أنني أرجح الاحتمال الأول لسببين:

1- أن أحداً من المؤرخين لم يذكر للإمام عبد الله بن حمزة إصلاحات أو عمارة في جامع الإمام الهادي إلى الحق.

2- ليس من المستبعد أن يكون الإمام الناصر أحمد بن الهادي أول من أقام قبة ضريحية على قبر أبيه؛ فقد كانت القباب الضريحية معروفة منذ حوالي منتصف القرن الثالث الهجري (9م)، وأقدمها قبة الصليبية بسامراء التي تؤرخ بعام 248هـ(862م). (الباشا، المدخل، 1990م: 139، سامح، العمارة، 1978م: 102، Creswell, A short, 1989: 373.).

ويظل هذا الاحتمال قائماً حتى ظهور أدلة مادية تؤكده أو تدحضه؛ لأنه إذا ما ثبت بالدليل القاطع صحة هذا الاحتمال؛ فإن هذه القبة تكون أقدم قبة ضريحية تقام في اليمن في العصر الإسلامي [13].

مشهد الإمام الهادي إلى الحق بعد عمارة القاضي مطهر بن تريك [شكل رقم: (3)]: لم يبق من القبة الضريحية التي أقامها القاضي مطهر بن تريك أي شيء؛ فقد أزيلت على يد معمار الإمام المهدي على بن محمد الذي قام ببناء قبة جديدة على قبر الإمام الهادي إلى الحق، كما أشارت المصادر التاريخية (ابن أبي الرجال، مطلع البدور، 2004م: 18،19، ابن القاسم، طبقات، خ: 95)، التي لم تذكر في الوقت نفسه أسباب إزالته للقبة التي بناها ابن تريك، رغم أنها لم يكن قد مر عليها إلا سنوات معدودة؛ فمن المعروف وطبقاً للمصادر التاريخية أيضاً أن القاضي مطهر بن تريك لم يتخذ من صعدة وطناً له إلا قبل وفاته بسنوات (ابن الحسين، غاية، 1968م: 524، المتميز، الهادي، 1997م: 12، 14، 53، 77).

ومصدرنا الوحيد لدراسة هذه القبة، هو النص التاريخي الذي أورده ابن أبي الرجال عنها ضمن ترجمته للقاضي مطهر بن تريك، وما يهمنا من ذلك النص ما يتعلق بعمارة القبة، ونصه:

"ومن فضايله اعتنائه ببناء القبة الشريفة بالمشهد اليحيوي المقدس على الكيفية التي هي عليها الآن... وكان قبل هذا الصنع على أربعة أركان لا سداد بينها ..."(ابن أبي الرجال، مطلع البدور، 2004م: ج4، 419، 420).

ومن وصف النص للقبة الذي يحدد طراز القبة قبل إعادة عمارتها على يد القاضي ابن تريك؛ يمكن القول إنه أقام القبة على أربعة جدران لا فتحات فيها إلا الجدار الشمالي الذي فتح فيه على الأرجح مدخلا: كان على محور واحد ومحراب الإمام الهادي، والمدخل المقابل له في مؤخر الجامع.

(12) عن الأعمال المعمارية للإمام عبد الله بن حمزة في صعدة (أنظر: ابن المجاور صفة، 1986م: 206. زبارة، أئمة: ج1، 121–129. الأكوع، هجر، 1995م: ج1، 493. الشعبي، مدينة صعدة، 1989م: 105.

(13) لم يثبت بالدليل القاطع إقامة قبة ضريحية على قبري قثم وعبد الرحمن، ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، قتلهما بسر بن أرطأة سنة (40هـ). (أنظر) محمد الحجري،1398ه: مساجد، 59.

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق بعد عمارة القاضي ابن تريك كانت عبارة عن قاعة مربعة تغطيها قبة، ورغم أننا لا ندري إن كان القاضي قد أدخل ضمن القبة التي أقامها قبور أحد من أولاد الإمام الهادي؛ إلا أن الأرجح أنه زاد في مساحتها.

وثمة أسباب في رأي الباحث دفعت القاضي ابن تريك إلى إعادة بناء القبة طبقاً للوصف السابق، وهذه الأسباب هي:

1- كانت القبة الأولى تغطي مساحة صغيرة لم تكن تستوعب أعداد الزائرين الذين كانوا في تزايد مستمر.

2- أن المداخل المشرعة في القبة السابقة كانت تجعل من الزائرين للقبر عرضة للأتربة وعوامل المناخ المختلفة.

3- يغلب على الظن أن القبة الأولى كانت في حالة سيئة، وربما كانت توشك على الانهيار.

والعوامل السابقة مجتمعة في رأيي هي التي دفعت القاضي ابن تريك إلى إعادة بناء قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق.

مشهد الإمام الهادي إلى الحق بعد عمارة الإمام المهدي علي بن محمد [شكل رقم: (4)]:

جاء في المصادر التاريخية أن من أعمال الإمام المهدي علي بن محمد في جامع الإمام الهادي إلى الحق العمارة على المشاهد المقدسة. (ابن الحسين، غاية، 1968: ج2، 528، ابن أبي الرجال، مطلع، 2004: ج4، 419، 420، المتميز، الهادي،1997م: 13، 14، 53، 73). وهي المرة الأولى التي يرد فيها الحديث عن قبة الإمام الهادي إلى الحق بصيغة الجمع، وذلك يعني أن عمارة الإمام المهدي علي بن محمد لم تقتصر على إقامة قبة ضريحية على قبر الإمام الهادي إلى الحق فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى إقامة قباب أخرى على قبور الأئمة من أبناء الإمام الهادي إلى الحق ممن دفنوا إلى جواره؛ فيكون عدد القباب التي أقامها الإمام المهدي علي بن محمد أربع قباب ضريحية.

وأصبح تخطيط القبة يتكون من أربع مناطق مربعة، يغطي كل منها قبة أكبرها مساحة المنطقة الوسطى حيث تقوم قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، وهي أكثر القباب ارتفاعاً، يتصل بها من الشرق والغرب والجنوب على الترتيب: قبة ضريح الإمام المختار بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق، وقبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق، وقبة ضريح الشهداء الطبريين. وهو التخطيط الحالي للقبة والقباب الملحقة بها؛ إذ لم تغير الأعمال والإصلاحات التي جرت بعد ذلك من التخطيط في شيء. ويؤكد ذلك الكتابة التأسيسية المسجلة على جدران القبة من الداخل، [لوحة رقم: (8، 10، 11)]، والتي تنص على أن معمار علي بن أحمد بن القاسم الذي ترجع إليه القبة القائمة أعاد بناء القبة والقباب الملاصقة على الأساسات السابقة [14]. وذلك يعني أن التخطيط الحالي للقبة القائمة والقباب الملحقة بها إنما يرجع إلى عهد الإمام المهدي علي بن محمد.

والواقع أنه لم يكن بالإمكان إلحاق تلك القباب بقبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق دون إعادة بنائها من جديد على الرغم _كما سبق القول _من أنه لم يكن قد

(14) نصت الكتابة الأثرية على أن المعمار كان حريصاً على البحث عن الأساسات الأصلية للقبة والقباب الملاصقة لها، خشية أن يتم البناء على قبر من القبور؛ وسيأتي الحديث عن هذه الكتابة.

مر على بناء ابن تريك لها إلا سنوات معدودة؛ فما كان بالإمكان فتح جدرانها شرقاً وغرباً وجنوباً على القباب التي أُلحقت بها دون أن تختل عمارة ابن تريك.

مشهد الإمام الهادي إلى الحق بعد عمارة الأمير عز الدين بن الإمام شرف الدين [شكل رقم: (4)]:

تولى الأمير عز الدين بن الإمام شرف الدين الإشراف على أعمال الإصلاح والتجديد في عمارة جامع الإمام الهادي إلى الحق بأمر من أبيه الإمام المتوكل على الله شرف الدين، وأخيه الأمير شمس الدين طبقاً لما جاء في الكتابة الأثرية المسجلة على جدران أجنحة ومقدم الجامع. (المطاع، الهادي، 2000م: 79، 89).

ورغم ذلك فإن أعماله المعمارية في قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق وملحقاتها اقتصرت على إحداث زيادة جاء ذكرها ضمن الكتابة الأثرية المسجلة على جدران القبة من الداخل، غير أن هذه الكتابة لم تحدد مقدار الزيادة ولا أين تمت! ومن غير المعروف ما إذا كانت عمارة الأمير علي بن أحمد بن القاسم أعادت بناء تلك الزيادة على ما كانت عليه قبل ذلك [15].

ومن المحتمل أن تكون تلك الزيادة إما بزيادة مساحة القباب جميعها، ومن ضمنها قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق. أو أنها اقتصرت على توسعة إحدى القباب الملحقة، بإضافة مساحة إليها. والقبة التي تبدو فيها دلائل الإضافة والتوسعة القبة الشرقية (قبة ضريح الإمام المختار لدين الله القاسم بن الناصر) فإلى الشرق منها جزء صغير ذو سقف مسطح [شكل رقم: 4] ربما كان هو الجزء الذي زاده الأمير عز الدين بن الإمام شرف الدين.

قبة ضريح الهادي إلى الحق بعد عمارة أحمد بن القاسم:

لم تتحدث المصادر التاريخية التي أوردت حصراً للأعمال المعمارية لأحمد بن القاسم عن قيامه بأي عمارة في جامع الإمام الهادي إلى الحق، رغم أنه تولى صعدة مدة طويلة. ومن غير المعقول أنه لم يقم بأي إصلاح أو عمارة في الجامع، لاسيما وقد خلف الكثير من الأعمال المعمارية خارج مدينة صعدة (المطاع، الهادي، 2000، 321، 322).

وتتضمن الدراسة نصاً تأسيسياً ينسب القبة الضريحية الغربية (قبة ضريح الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق) إلى عمارة أحمد بن القاسم وجد مسجلاً على الجانب الغربي لتركيبة قبر الإمام الناصر (المطاع، الهادي، 2000م: 251– 254).

وما ورد في النص لا يعني أن أحمد بن القاسم أول من أقام قبة ضريحية على قبر الإمام الناصر؛ إذ ليس من المعقول أن يدع الإمام المهدي علي بن محمد قبر الإمام الناصر مكشوفا دون أن يقيم عليه قبة، ويقيم قبة على قبر المختار بن الناصر، وقبة أخرى على قبور بعض الشهداء الطبريين. والأرجح أن أعمال أحمد بن القاسم في القبة اقتصرت على إعادة بناء ما كان قد تأثر فيها. وأمر أيضاً بعمل التركيبة على قبر الإمام الناصر. وكان ذلك في شهر رجب سنة 1030هـ (1621م).

قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق بعد عمارة علي بن أحمد بن القاسم [شكل رقم: (4)]:

ترجع قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق وملحقاتها القائمة إلى عمارة علي بن أحمد بن القاسم. وتؤرخ

(15) جاء ذكر زيادة الأمير عز الدين بن الإمام المتوكل على شرف الدين، ضمن الكتابة الأثرية كما يلي:"... فنقضت هي والزيادة التي عمرت بأمر مولانا السيد السامي عز الدين بن الإمام شرف الدين ..."؛ وسيأتي الحديث عن هذه الكتابة.

طبقاً للتاريخ المسجل ضمن الكتابة الأثرية الخاصة بالقبة بالفترة ما بين عامي 1108 و1113هـ (1696 و170م). أي أن بين عمارته للقبة وبين عمارة الإمام المهدي علي بن محمد قرابة 335 سنة، وهي فترة يمكن لعمارة القبة وملحقاتها أن تتأثر لسبب ما، وهو ما أكدته الكتابة الأثرية ذاتها أن إعادة بناء القبة تم بعد أن اختلت عمارة القبة الأصلية. والواقع أن هذه العمارة لم تغير شيئاً من تخطيط القبة المركزية والقباب الملحقة؛ لأنها لم تضف إليها شيئاً.

ويرجع تخطيط قبة ضريح الإمام الهادي وملحقاتها إلى عمارة الإمام المهدي علي بن محمد. يتكون المسقط الأفقي من مساحة وسطى مربعة طول ضلعها نحو (5,85م× 5,90م). ويقوم عليها قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق. ويتصل بها من الغرب مساحة مربعة طول ضلعها نحو(4,20م) تقوم عليها قبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي. ويتصل بها من الجنوب مساحة مربعة ثانية طول ضلعها نحو (3,20م× 3,05م)، تقوم عليها قبة ضريح شهداء الطبريين. ويتصل بها من الشرق مساحة مستطيلة طولها من الشرق إلى الغرب نحو(6,25م)، وعرضها نحو(3,50م) يقوم على مساحة مربعة منها غرباً قبة ضريح المختار بن الناصر، وطول ضلعها نحو(3,50م). أما الجزء المتبقي من القاعة الشرقية، إلى الشرق من قبة المختار، فهو مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب نحو(3,50م)، وعرضه نحو (1م) يغطيه سقف مسطح.

وقد تأثر بتخطيط قبة ضريح الإمام الهادي وملحقاتها تخطيط قبة ضريح الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن المهدي علي بن محمد الملحقة بمسجده في صنعاء (الحجري، مساجد، 1398: 61، شيحة، المدخل، 1987: 76- 79، سيف الأضرحة، 1989: 197- 202. Finster, Die Grueb,1986, 151- 156.) ، وتخطيط ضريح الإمام المطهر بن الإمام المتوكل على الله شرف الدين الملحقة بمدرسة الإمام شرف الدين في ثلا (شيحة، المدخل، 1987: 72، 73. جار الله، عمائر، 1994م: 197- 202. سيف، الأضرحة، 1998م: 278- 290).

قبة ضريح الهادي إلى الحق وملحقاتها بعد عمارة علي بن أحمد بن القاسم:

أولاً – قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق:

دراسة القبة من الخارج:

تتوسط قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق القباب الضريحية الملحقة بها. وتطل واجهاتها المبنية من الحجر الجيري على الفناء الجنوبي للجامع شمالاً وشرقاً، وتطل جنوباً وغرباً على ساحة الدفن الجنوبية الغربية، وسأتحدث عن كل واجهة بالتفصيل.

الواجهة الشمالية [لوحة رقم: 2]:

تشكل كل من الواجهة الشمالية لقبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، وابنه الإمام الناصر واجهة واحدة طولها الكلي نحو(11,60م) منها نحو(6,55م) طول الواجهة الشمالية لقبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، وارتفاعها نحو(5,80م). ويفتح فيها على الفناء مدخل القبة، ونافذتان على جانبيه.

مدخل القبة:

مدخل بسيط يفتح في الواجهة الشمالية. وارتفاعه نحو(2,10م)، واتساعها نحو(1,05م)، وسمك الواجهة عنده نحو(95سم) يعلوه عتب حجري يزين واجهته الخارجية عقد زخرفي خماسي الفصوص تحته ورقة ثلاثية الفصوص. ويعلوه عقدان مدببان زخرفيان، يكتنفهما من الجانبين كتابة منفذة على الحجر بالحفر

البارز بخط ثلث غير متقن تتألف من شهادة التوحيد [شكل رقم: 10] يقرأ منها أعلى العضادة اليمنى للمدخل: "لا إله إلا الله"، وأعلى العضادة اليسرى: "محمد رسول الله".

ويغلق فتحة المدخل باب خشبي من مصراعين في حالة سيئة من الحفظ يزدان كل منهما بثلاثة صفوف من مسامير مكوبجة بينها أشرطة من زخارف هندسية، ونباتية تآكل معظمها، واختفى ما تبقى منها تحت طبقات كثيفة من زيت الخردل [16] أكسبت الباب لوناً أسوداً سببه التصاق الأتربة. ويتدلى من كل مصراع حلقة معدنية يشد بها كل مصراع عند إغلاقه، وتستخدمان في الطرق على الباب إن كان مغلقا.

ويزين إطار الباب زخارف هندسية وكتابية، تركزت الزخارف الهندسية على القائمين: وتتألف من زخارف دالية، تكونت من خطين متكسرين، يرسمان بينهما صف من معينات يحف به صفان من مثلثين. وتزين الزخارف الكتابية العارضة العلوية؛ وتتألف من سطر مكتوب بخط ثلث بالحفر البارز داخل بحر طرفاه على شكل عقدين نصفي دائريين يتضمن النص القرآني التالي:

﴿وَلَقَدْ اِخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِيْنْ﴾ (الدخان، آية (32).

ويعلو فتحة المدخل صدر مرتد يتوجه عقد نصف دائري يتوسطه قمرية تامة الاستدارة. ويظلل فتحة المدخل رفرف خشبي (كُنَّة) (المطاع، الهادي، 2000: 391). يتجلى في انحنائه والتواء حامليه سوء الحالة التي وصل إليها تحت تأثير عوامل المناخ المختلفة. ورغم ذلك فقد احتفظ بالزخارف الكتابية التي تزين واجهته الخارجية، وصفحة بطنه السفلى، وهي كتابات محفورة حفراً بارزاً بخط الثلث يقرأ منها في وجه الرفرف، أبيات من قصيدة البسامة لابن الوزير [17] ضمن سطر واحد:

"بسم الله الرحمن هذا إمام الهدى الهادي المتوج بالعليا أكرم داعٍ من بني مضر. من خُص بالجفر [18]من أبناء فاطمة ∴ وذي الفقار ومن أروى ظمأ الفقر. سارت بمذهبه الركبان واستلمت [19] ∴ بقبره الناس مثل الحجر والحجر [20]...".

ويقرأ على بطن الرفرف، نص قرآني داخل بحر طرفاه على شكل عقدين مدببين مكتوب بالحفر البارز بخط ثلث تتسم حروف كلماته بالغلظة، نصه:

﴿إِنَ الْمُتَقِيْنَ فِيْ جَنَاتٍ وَعُيُوْن. ادْخُلُوْهَا بِسَلاَمٍ آَمِنِيْن. وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِنْ غِلٍ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِيْن﴾ (الحجر: الآيات 45- 47).

ويكتنف النص القرآني السابق عن اليمين: لفظ الجلالة: "الله" نفذت بأسلوب زخرفي أربع مرات

(16) عن استعمال زيت الخردل، (أنظر): جيمت وبولس بونانفان، فن الزخرفة الخشبية، ص17.

(17) هو إبراهيم بن محمد الوزير، ولد سنة 834 هـ (1431). وتوفى بصنعاء سنة 914هـ (1508م). والبسامة قصيدة تتألف من مأتين وأربعين بيتاً، مطلعها:

"الدهر ذو عبر عظمى وذو غبر ∴ وصرفه شامل لبدو والحضر".

عن ابن الوزير وبسامته، (أنظر: الشوكاني، البدر، ج1، 33، 34. زبارة، أئمة، ج1، 374–376. نشر، 1985م: ج2، 122–124. الأكوع، هجر، 1995م: ج1، 178– 180.

(18) الجفر، لغة الصغير، وهو من أولاد المعز ما بلغ من العمر أربعة أشهر. والجفر، علم يتعلق بالقضاء والقدر، ينسب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، يروى ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علمه.

(أنظر: الرازي، مختار، 1987م: 105. محمد رضا، الإمام علي،320–322.

(19) ((استلمت)) خطأ من الكاتب، والصواب نقلاً عن الترجمان ((اشتملت)) ، بمعنى اجتمعت.

(أنظر): ابن مظفر، الترجمان، خ، ق128أ؛ الرازي، مختار، 347.

(20) (الحجر) بالكسر، هو حجر إسماعيل، وحجر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت من الجانب الشمالي. و (الحجر) بالفتح، هو الحجر الأسود في أحد أركان الكعبة. (أنظر): الرازي، مختار، 1987م: 123، 124. ابن هادية، القاموس، 1980م: 273. سيف، الأضرحة، 1998م: 162، 163. وتجدر الإشارة إلى أن الكاتب أغفل كتابة بيتاً قبل البيت الأخير هو:"وصاحب المذهب المذكور في اليمن المشهور من غير لا إفك ولا نكر". (أنظر): ابن مظفر، الترجمان، ق128أ.

متقاطعة[شكل29]، وعن الشمال كلمة "محمد". وعلى جانبي المدخل ترتد في الواجهة بعمق نحو(17سم) دخلتان يتوج كلا منهما عقد نصف دائري. ويفتح في الواجهة ضمن كل دخلة نافذة اتساعها نحو(80سم)، وارتفاعها نحو(1,60م)، وفوق النافذة، ضمن كل دخلة، تفتح قمرية مستديرة.

ويوجد في هذه الواجهة ضمن المدماك الخامس عشر حجر مستطيل[شكل28]، ربما كان عتباً علوياً لإحدى النوافذ قبل إعادة بناء القبة كتب عليه بالحفر البارز بخط الثلث: "الله محمد علي فاطمة الحسنان عليهم السلام".

وتنتهي الواجهة من أعلى بإفريز يبرز إلى الخارج قليلاً فوق صفين من زخارف معمارية مسننة على هيئة حطتين من مقرنصات منشارية أو دالية.

الواجهة الغربية:

يطل من هذه الواجهة غرباً على ساحة الدفن الجنوبية الغربية مما يلي قبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي جنوباً ما طوله نحو(2,20م). وفيه تفتح نافذة مستطيلة بمشبكات حديد اتساعها من الخارج نحو(75سم)، وارتفاعها نحو(1,15م) يعلوها دخلة عميقة يتوجها عقد مدبب فتح ضمنها قمرية مستديرة. ولأن هذا الجزء من هذه الواجهة مبني من أحجار غير منحوتة؛ فقد غطي بكسوة من القضاض نفذ عليها زخارف نباتية وهندسية بارزة: تتألف من أوراق نباتية وأشكال زهور محورة، ومراوح نخيلية وأنصافها، وخطوط تمتد حيناً على شكل أفرع نباتية، وحيناً على شكل بائكة من عقود نصف دائرية.

وينتهي هذا الجزء من أعلى بنفس الإفريز البارز فوق صفين من مقرنصات دالية. أما بقية هذه الواجهة فتفتح غرباً على قبة ضريح الإمام الناصر الملحقة بفتحة معقودة بعقد نصف دائري اتساعها نحو(3,20م)، وارتفاعها نحو(4,62م)، وسمك الواجهة عندها نحو(95سم).

الواجهة الشرقية:

يطل من هذه الواجهة شرقاً على الفناء الجنوبي للجامع ما طوله نحو(2,35م). وفيه ضمن دخلة مرتدة اتساعها من الخارج نحو(90سم) تفتح نافذة مستطيلة ذات مشبكات حديد اتساعها نحو(70سم) وارتفاعها نحو(95سم). وينتهي هذا الجزء من أعلى بنفس الإفريز البارز فوق صفين من مقرنصات دالية. أما بقيتها فتفتح على قبة ضريح المختار بن الناصر بفتحة معقودة بعقد نصف دائري به تدبيب خفيف اتساعها نحو(3,25م)، وارتفاعها نحو(4,60م)، وسمك الواجهة عندها نحو(95سم).

الواجهة الجنوبية:

يطل من هذه الواجهة على ساحة المقابر الجنوبية ما طوله نحو(95سم)، وعلى ساحة الدفن الواقعة جنوبي قبة المختار، ما طوله نحو(2,25م). ويفتح في هذا الجزء نافذة ذات مشبكات حديد اتساعها نحو(75سم)، وارتفاعها نحو(1,10م). أما الجزء الباقي من هذه الواجهة فيفتح جنوباً على قبة ضريح الشهداء الطبريين بفتحة يعلوها عقد نصف دائري اتساعها نحو(2,20م)، وارتفاعها نحو(4,50م)، وسمك الواجهة عندها نحو(90سم).

القبة [لوحة رقم: 2]:

يغطي ضريح الإمام الهادي إلى الحق قبة نصف كروية مبنية من الآجر المكسو بطبقة من القضاض. وتقوم القبة على رقبة أسطوانية يبلغ ارتفاعها عن سطح الضريح نحو(2,15م) تنتهي من أعلى بإفريز بارز يتكون من ستة عشر ضلعاً. وتتميز رقبة القبة

بوجود ثمان دخلات يتوج كلا منها عقد مدبب [لوحة رقم: 2، 7] أبعاد كل دخلة نحو (90سم× 90سم). يفتح في كل دخلة قمرية مستديرة ركب على كل منها حديثاً لوح من الجص المخرم والمعشق بزجاج ملون.

زخارف وكتابات رقبة القبة [لوحة61 رقم: 2، 7، والأشكال: 13، 14، 15]:

تزدان رقبة القبة من الخارج بزخارف منفذة على القضاض بالحفر البارز، تتألف من زخارف نباتية يغلب عليها الطابع الهندسي قوامها أوراق نباتية ثلاثية [شكل رقم: 13]، وأنصاف مراوح نخيلية [شكل رقم: 14]؛ فضلاً عن بعض العناصر الهندسية: كالدائرة، وأشكال نجوم، وأنصاف دوائر تؤلف زخارف معمارية عبارة عن أشكال بوائك من عقود نصف دائرية تمتد أسفل الإفريز البارز الذي يتألف من ستة عشر ضلعاً. ويزين كل ضلع منها شريط يتضمن زخرفة كتابية بارزة منفذة بخط ثلث غير متقن، تتألف من آيات من الذكر الحكيم تبدأ بالبسملة المسجلة مرتين ضمن شريطين، في الشريط الذي يعلو الدخلة الشرقية، والشريط الذي يعلو الدخلة الجنوبية الغربية. وتقرأ الكتابات ضمن هذه الأشرطة دائرياً مع اتجاه عقارب الساعة.

الشريط الأول الشرقي:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَحِيْمِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد. اللهُ الصَمَد.﴾.

الشريط الثاني:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوَاً أَحَدْ (الإخلاص). يُبَشِرُهُمْ رَبُهُمْ بِرَحْمَةٍ﴾.

الشريط الثالث أعلى الدخلة الجنوبية الشرقية:

﴿مِنْهُ وَرِضْوَانٌ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيْهَا نَعِيْمٌ مُقِيْم. خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدَاً إِنَ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيْم﴾ (التوبة، الآيات: 21، 22).

الشريط الرابع بين الدخلتين الجنوبية الشرقية، والجنوبية:

﴿إِنَ الْمُتَقِيْنَ فِيْ مَقَامٍ أَمِيْن. فِيْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ. يَلْبَسُوْنَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِيْن.﴾.

الشريط الخامس أعلى الدخلة الجنوبية:

﴿كَذَلِكَ وَزَوَجْنَاهُمْ بِحُوْرٍ عِيْن. يَدْعُوْنَ فِيْهَا بِكُلِ فَاكِهَةٍ آَمِنِيْن. لاَ يَذُوْقُوْنَ﴾.

الشريط السادس بين الدخلتين الجنوبية، والجنوبية الغربية:

﴿فِيْهَا الْمُوتَ إِلاَ الْمَوْتَةَ الأُوْلَى وَوَقَاهُمْ رَبُهُمْ عَذَابَ الْجَحِيْم. فَضْلاً مِنْ رَبِكَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْم.﴾ (الدخان، الآيات: 51– 57).

الشريط السابع أعلى الدخلة الجنوبية الغربية:

﴿إِنَ الَذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَا الْحُسْنَى أُوَلِئكَ عَنْهَا مُبْعَدُوْنْ. لاَ يَسْمَعُوْنَ حَسِيْسَهَا﴾.

الشريط الثامن بين الدخلتين الجنوبية الغربية، والغربية:

﴿وَهُمْ فِيْمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُوْنْ. لاَ يَحْزُنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾.

الشريط التاسع أعلى الدخلة الغربية:

﴿وَتَتَلَقَاهُمُ الْمَلَئِكَةُ هَذَا يَوْمَكُمُ الَذِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْن. يَوْمَ نَطْوِيْ السَمَاءَ كَطَيِ السِجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَلَ يَوْمٍ نُعِيْدُهُ وُعداً عَلَيْنَا﴾ (الأنبياء، الآيات: 101– 1–4).

الشريط العاشر بين الدخلتين الغربية، والشمالية الغربية:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَحِيْمِ الله﴾.

الشريط الحادي عشر أعلى الدخلة الشمالية الغربية:

﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الحْي الْقَيُوْم لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْم لَهُ مَا﴾.

الشريط الثاني عشر بين الدخلتين الشمالية الغربية، والشمالية:

﴿فِيْ السَمَوَاتِ وَمَا فِيْ الأَرْضِ مَنْ ذَا الَذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَ بِإِذْنِهِ﴾.

الشريط الثالث عشر أعلى الدخلة الشمالية:

﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله﴾.

الشريط الرابع عشر بين الدخلتين الشمالية، والشمالية الشرقية:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيْطُوْنَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾.

الشريط الخامس عشر أعلى الدخلة الشمالية الشرقية:

﴿إِلاَ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيهُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ﴾.

الشريط السادس عشر بين الدخلتين الشمالية الشرقية، والشرقية:

﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِي الْعَظِيْم (البقرة، 255). صدق الله العظيم﴾.

ويحف بتلك الأشرطة من أعلى وأسفل أقراص مقعرة من الخزف بلون أخضر داكن [21]أضاع ألوان كثير منها إعادة طلائها حديثاً بلون زيتي ذهبي. واستخدام الأقراص الخزفية الملونة ليس جديداً على العمارة الدينية الإسلامية في اليمن فقد استخدم قبل ذلك في جامع ظفار ذيبين (شيحة، بعض التأثيرات، 1988: 384، 385. خليفة، الفنون، 1992: 211. Finster, An outline,1992: 133.).

ويزدان جزء من السطح الخارجي للقبة أعلى الواجهتين الشمالية والشرقية بزخارف معمارية نفذت حديثاً بمادة الجص على طبقة القضاض تتألف من أشكال شرافات مدرجة يتوج كل منها شكل عقد نصف دائري تماثل تلك التي تزين السطح الخارجي لقبة الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق. وكتب على تلك الزخارف بلون أسود العبارات الدعائية التالية:

"ما شاء الله"، و "هذا من فضل ربي"، و "سبحان الله"، و "ما شاء الله"، و ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ (هود، آية: (73).، و "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله".

القبة من الداخل:

يوصل مدخل القبة المفتوح في الواجهة الشمالية [لوحة رقم:3] إلى قاعة مربعة التخطيط أرضيتها منخفضة قليلاً عن أرضية فناء الجامع، يشغل جزءاً منها التركيبة الخشبية التي تعلو قبر الإمام الهادي إلى الحق (المطاع، الهادي، 2000: 235- 242)، وتقع بالقرب من الجدارين الغربي والجنوبي؛ فلا تبعد عن الجدار الغربي إلا بنحو(1,20م)، وعن الجدار الجنوبي بنحو(1م). بينما تبعد عن الجدار الشمالي بنحو(3,15م)، وعن الجدار الشرقي بنحو(1,90م). والواقع أن المعمار ابتعد بالجدارين الشمالي والشرقي عن القبر والتركيبة للأسباب الآتية:

- كون التركيبة تقع على محور المدخل؛ فستكون سبباً في تزاحم الناس أثناء الدخول والخروج.
- حتى لا تكون أمام المصلين؛ فلا يستقبلونها في صلاتهم.

(21) استخدام الأقراص الخزفية الملونة في تزيين العمائر الدينية الإسلامية في اليمن، من التأثيرات الإيرانية فقد شاع في إيران استخدام البلاطات الخزفية في زخرفة العمائر؛ ويعد ضريح الإمام الرضا عليه السلام بمدينة مشهد أقدم أثر إسلامي استخدمت فيه البلاطات الخزفية. ويؤرخ بعام 512هـ (1118م). (أنظر) زكي، الفنون، 1946م: 59، 60. Barbara Finster, Frühe Iranisch Moscheen, p57.

• إفساح المجال أمام الزائرين داخل القبة، وخاصة من الجهة الشرقية، وهي الجهة التي يستحب أن تكون زيارة القبر من عندها.

جدران القبة من الداخل:

الجدار الشمالي:

تشترك في هذا الجدار كل من قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، وقبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق. ويبلغ طوله من الداخل نحو(9,80م) منها نحو(5,80م) طول الجدار الشمالي لقبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق بدءاً من الزاوية الشمالية الشرقية، حتى النقطة التي تفتح عندها القبة على قبة ضريح الإمام الناصر. ونظراً لأن مدخل القبة يتوسط الجدار الشمالي (جدار القبلة)؛ فإن محراب القبة [لوحة رقم: 9] يقع قريباً من الزاوية الشمالية الشرقية على بعد نحو(55سم) منها، وعلى بعد نحو(1,44م) من مدخل القبة.

والمحراب تجويف نصف أسطواني، يرتد في جدار القبلة بعمق نحو(60سم)، واتساعه نحو(65سم)، وارتفاعه نحو(1,85م) يكتنفه من الجانبين عمودان مدمجان قطاع كل منهما نصف دائرة. ويعلو كل عمود عمود قصير قطاعه أيضاً نصف دائرة يعلوهما تاجان صغير ناقوسيان ترتكز عليهما رجلا عقد طاقية المحراب، وهو عقد مدبب له واجهة منفوخة قطاعها نصف دائرة تزدان بصفين من مثلثات غائرة، ويتدلى من بطن العقد عقد زخرفي من الجص مزخرف بأشكال مثلثات مخرمة.

ويمكن القول إن واجهة عقد المحراب المنفوخة تشكل مع العمودين القصيرين أسفل التاجين الناقوسيين شكل سيفين معقوفين يشكل نصليهما قوسا العقد، ويشكل مقبضيهما العمودان القصيران، ويشكل واقي اليد في كليهما تاجا العمودان. ويبدو أن الفنان أراد بتشكيله عقد المحراب على شكل سيف، أن يدلل على أن الإمام الهادي إلى الحق كان رجل سيف، إلى جانب كونه كان إماماً مجتهداً في العلوم الدينية.

ويزين كوشتي عقد المحراب أشكال رمانية بارزة، يزين كل منها زهرة سداسية غائرة الفصوص. ويمتد من كل شكل رماني إلى أسفل ما يشبه عمود مخلق من الجص قطاعه نصف دائرة يزدان بأشكال مثلثات وأنصاف دوائر غائرة في صفين على جانبي صف من معينات في الوسط. ويمتد من كل نتوء رماني باتجاه قمة عقد المحراب ما يشبه نصل مسمار رأسه الشكل الرماني نفسه.

ويزين تجويف المحراب زخارف نباتية تتألف من سيقان، وأفرع ملتفة، ومتماوجة مكونة في الوسط ما يشبه عقد مدبب لمحراب رمزي يزين صدره شكل جامة تتضمن لفظ الجلالة مكتوبة أربع مرات متقاطعة تشبه تلك التي تزين بطن الرفرف الخشبي الذي يظلل المنطقة أمام مدخل القبة. وأسفل تلك الزخرفة الكتابية أوراق نصلية ذات تعرقات نخيلية، بالإضافة إلى أوراق ثلاثية وخماسية.

وينتهي تجويف المحراب من أعلى بطاقية محاربة الشكل يفصل بينها وبين زخارف حنية المحراب شريط عريض يتضمن زخارف كتابية جصية منفذة بخط ثلث غير متقن بالحفر البارز، نصها:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُم وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُوْن﴾ (الحج، آية (77). سيف، الأضرحة، 1998: 164).

ويعلو الشريط الكتابي السابق شريط من زخارف مسننة يعلوه شريط آخر مكون أشكال مثلثات متعاكسة تكونت من خطين متوازيين يحصران بينهما خطا متكسر.

ويزين صدر المحراب كتابة بارزة بخط ثلث غير متقن، نصها: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

ويحيط بحنية المحراب إطار من زخارف كتابية بخط ثلث غير متقن منفذة على الجص بالحفر البارز على مهاد من زخارف نباتية: تتألف من تفريعات تنتهي بأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية؛ فضلاً عن أوراق برعمية ونصلية. ونص الكتابة: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الحْي الْقَيُوْم لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْم لَهُ مَا فِيْ السَمَوَاتِ وَمَا فِيْ الأَرْضِ مَنْ ذَا الَذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيْطُوْنَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيهُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِي الْعَظِيْم﴾ (البقرة: 255).

ويعلو كل من مدخل القبة والنافذتين على جانبيه ثلاث دخلات عميقة، تتميز تلك التي تعلو مدخل القبة، بأنها أكثر اتساعاً، كما تتميز بعقد مدبب له خمسة فصوص يتدلى من بطنه عقد زخرفي من الجص تزينه تفصيصات مخرمة تتخذ أشكال عقود متجاورة. ويخترق هذه الدخلة في وسطها قمرية مستديرة، ركب عليها لوح من جص مخرم ومعشق بالزجاج. ويؤطر عقد الدخلة شريط يتخذ شكل العقد، يتضمن زخارف نباتية من الأرابسك محفورة حفراً بارزاً.

ويزين كوشتي عقد الدخلة زخارف هندسية ونباتية تتألف الزخارف الهندسية من دائرتين بداخل كل دائرة زهرة متعددة الفصوص يغلب عليها الطابع الهندسي، وتتألف الزخارف النباتية من نصفي ورقتين ثلاثيتين نفذتا بحجم كبير من تفريعات، تنتهي بأوراق ثلاثية مثقوبة الفصوص، وأشكال زهور.

أما الدخلتان أعلى النافذتين فهما أقل اتساعاً، ويتوج كل منهما عقد مدبب ثلاثي الفصوص يتدلى من بطنه عقد زخرفي من الجص يتخذ شكل عقد الدخلة، ويزدان بتخريمات هندسية على شكل أنصاف دوائر ومثلثات. ويحيط بكل دخلة شريط يشكل إطاراً تتكون زخارفه الهندسية من خطوط مزدوجة تتقاطع بأسلوب يذكر بزخرفة الجفوت، لترسم أشكال معينات كبيرة بداخلها معينات أصغر ومثلثات غائرة. بينما تزدان كوشتا العقد بزخارف نباتية تتألف من وحدات من الأرابسك تحف بدائرة تحصر بداخلها شكل وريدة متعددة البتلات رسمت بأسلوب هندسي.

وتنفرد قبة الإمام الهادي إلى الحق عن بقية القباب الضريحية الأخرى الملحقة بجامع الإمام الهادي بوجود خزانة جدارية نصفها في الجدار الشرقي، والنصف الآخر في الجدار الشمالي.

الجدار الغربي:

يبلغ طول هذا الجدار من الداخل من الشمال إلى الجنوب نحو(5,85م) فتح غرباً من طرفه الشمالي باتساع قدره نحو(3,20م) على قبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق بفتحة يتوجها عقد نصف دائري به تدبيب خفيف تزدان واجهته بزخارف جصية منفذة بالحفر البارز قوامها وحدات من الأرابسك تحيط بدوائر يرسمها خطان مزدوجان ممتدان بطول وجه العقد في حركة متموجة، وبداخل تلك الدوائر أشكال زهور ثمانية ذات طابع هندسي بعضها ذات فصوص مقوسة، وبعضها ذات فصوص مضلعة كأنها معينات. ويزين كل من كوشتي العقد دوائر يتصل بمحيط كل دائرة ثلاث أوراق نباتية أكبرها الورقة الثلاثية التي يتجه فصها الأوسط نحو قمة العقد، أما الورقتان الأخريان فكل منهما ورقة خماسية، السفلية ذات حواف مقوسة، والأخرى مضلعة. ويفتح في النصف الجنوبي من الجدار الغربي نافذة تطل على ساحة المقابر الجنوبية

الغربية فتحت ضمن دخلة معقودة بعقد نصف دائري يزين واجهته شريط من زخارف نباتية تماثل زخارف واجهة العقد المفتوح على قبة الإمام الناصر.

الجدار الجنوبي:

يبلغ طول الجدار الجنوبي لقبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق من الداخل نحو(5,80م). فتح في منتصفه فتحة مدخل إلى قبة ضريح الشهداء الطبريين اتساعه نحو(2,20م) يعلوه عقد نصف دائري يزين واجهته شريطان: السفلي من زخارف هندسية تتكون من خطوط متكسرة تتقاطع فيما بينها كأنها أفرع مجدولة تتشكل في هيئة سلسلة من عقود مدببة، ومتقاطعة يتدلى منها أشكال مثلثة كأنها أوراق رمحية تتجه رؤوسها إلى أسفل. ويشغل المناطق المثلثة بينها أشكال مثلثة أخرى، تبدو كأنها أوراق رمحية غائرة تتجه رؤوسها إلى أعلى. ويتألف الشريط العلوي من خطين مجدولين على شكل زخرفة الجفت اللاعب. ويفتح على جانبي العقد الجنوبي: إلى الغرب خزانة جدارية عمقها نحو(1,55م)، واتساع فتحة مدخلها نحو(60سم)، وارتفاعه نحو(78سم). يغلق عليها باب خشبي من مصراع واحد يزدان بصفين من مسامير كبيرة مستديرة الرؤوس، ويتدلى من نصفه العلوي حلقة معدنية مثبتة إلى المصراع بمسمار حلقي [22] يشد به الباب. ويؤطر فتحة مدخل الخزانة من جانبيه وأسفله شريط من زخارف نباتية: تتألف من أفرع ترسم أنصاف دوائر تحصر بداخلها أوراق ثلاثية، وأنصاف مراوح نخيلية نفذت بالحفر البارز بأسلوب يغلب عليه الطابع الهندسي. ويفتح إلى الشرق من المدخل إلى قبة الشهداء الطبريين نافذة يحجبها مكتبة خشبية حديثة، وضعت لحفظ المصاحف، وبسبب ذلك تعرضت الزخارف الجصية حول هذه النافذة للتكسير والطمس، وهي زخارف تشبه تلك المحفورة حول مدخل الخزانة الجدارية. ويعلو النافذة دخلة عميقة تطل على القاعة بعقد ثلاثي الفصوص ذو دلايات يشبه عقود دخلات الواجهة الشمالي لمؤخر الجامع المطلة على الصحن. ويفتح في الجدار ضمن الدخلة قمرية مستديرة يغلق فتحتها لوح من الجص المخرم بزخارف هندسية معشقة بزجاج أبيض.

الجدار الشرقي:

يبلغ طول الجدار الشرقي من الداخل من الشمال إلى الجنوب نحو (5,83) يفتح فيه من طرفه الجنوبي مدخل إلى قبة ضريح المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحق اتساعه نحو(3,25م) يعلوه عقد نصف دائري اقتصرت زخارفه على كوشتيه، وتتألف من زخارف نباتية تماثل تلك التي تزين واجهة عقد القبة الجنوبية. وتفتح في الجدار إلى الشمال من مدخل القبة الشرقية نافذة يغلق عليها مصراعان من الخشب يماثلان مصاريع النافذتين في الجدار الشمالي. وتطل هذه النافذة على رحبة من الفناء الجنوبي للجامع بين قبة ضريح الإمام الهادي غرباً، وقبة ضريح المختار جنوباً، وقبة ضريح علي بن صلاح شرقاً. يعلو هذه النافذة دخلة عميقة ذات عقد ثلاثي الفصوص ذو دلايات تماثل الدخلات السابقة في الجدارين الشمالي والجنوبي.

كتابات جدران القبة: تزدان الجدران الأربعة للقبة بعدد من الأشرطة الكتابية المنفذة على الجص بالحفر البارز يتجلى في بعضها المهارة، والإتقان، وجودة

22() المسمار الحلقي، مسمار مدبب الطرفين، يثنى عند منتصفه ويطرق على مسمار ليكون حلقة.

الخط، وبعضها أقل جودة، وإتقاناً، مما يدل على أن كتاباتها نفذها أكثر من صانع. وتتألف من نصوص قرآنية، وأبيات من الشعر؛ فضلاً عن نصوص تأسيسية نفذت إما ضمن أشرطة تؤطر الفتحات على الجدارين الشمالي والغربي أو ضمن دوائر على الجدار الجنوبي تذكر بالرنوك المملوكية [23]. وفيما يلي قراءة لهذه الكتابات.

كتابات جدار القبلة [لوحة رقم:8، 10، 11]: يعلو كل من مدخل القبلة والنافذتين المفتوحتين على جانبيه شريط يتضمن كتابة جصية بارزة منفذة بخط الثلث على مهاد من زخارف نباتية: تتألف من تفريعات تنتهي بأوراق ثلاثية ونصلية وأوراق برعمية؛ فضلاً عن أنصاف مراوح نخيلية يحيط بها والكتابات إطار من زخارف هندسية قوامها أشكال مثلثات متعاكسة تحصر بينها صف معينات تكونت من التقاء رؤوس خطين متكسرين. وتبدأ هذه الكتابة بشريط أفقي يعلو النافذة المفتوحة في الجدار الشمالي بين المحراب ومدخل القبة، ثم يتجه الشريط صعوداً لاعتراض فتحة المدخل خط سيره ليعاود السير أفقياً فوق فتحة المدخل، ونص الكتابة فيه:

"بسم الله...تجصيص هذه القبة المقدسة التي هي إن شاء الله على التقوى مؤسسة وذلك غرة شهر ربيع الآخر من شهور سنة عشرين ومائة وألف [24]بعمل الفقير إلى الله حسين بن حسن الشظبي[25] غفر الله له آمين".

ويلاحظ أن النص مبتور في أوله؛ فلم أتمكن من قراءة كلمتين بعد البسملة يغلب على الظن أنهما: "كان تمام"؛ فيكون النص: "بسم الله كان تمام تجصيص هذه القبة المقدسة التي هي إن شاء الله على التقوى مؤسسة وذلك غرة شهر ربيع الآخر من شهور سنة عشرين ومائة وألف بعمل الفقير إلى الله حسين بن حسن الشظبي غفر الله له آمين".

كتابات الجدار الغربي: يزين الجدار الغربي للقبة شريطان من الزخارف الكتابية بخط ثلث متقن بالحفر البارز؛ في الشريط الأعلى شهادة التوحيد والرسالة المحمدية: "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ويتضمن الشريط الأسفل آية غير مكتملة من القرآن الكريم نصها:

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة﴾ (المائدة، الآية: (18).

وتتكرر شهادة التوحيد والرسالة المحمدية بالصيغة الشيعية ضمن لوحة لها عقد نصف دائري تزين صدر الدخلة المعقودة التي تفتح ضمنها النافذة الغربية لكنها لا تكتمل إلا في الجدار الغربي، ونص الكتابة في هذه اللوحة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

كتابات الجدار الجنوبي: وتبدأ بشريط يزين الجدار فوق فتحة مدخل الخزانة الجدارية تقرأ ضمنه تتمة شهادة التوحيد السابقة: "علي ولي الله فاطمة أمة الله"[26].

23) الرنوك ،جمع رنك، واللفظ فارسي بمعنى اللون، والرنك هو الشعار الذي يتخذه السلطان أو الأمير علامة له. والرنك السلطاني يتكون من دائرة بوسطها شطف يتضمن اسم السلطان وألقابه. أما رنك الأمير فعلامة تدل على وظيفة صاحب الرنك، مثل الدواة والمقلمة، التي تكون رنكاً للدوادار. والسيف، رنك السلاح دار. والكأس رنك الساقي. (أنظر: محمد أمين، المصطلحات، 1990م: 56، 57.

24) يقابل هذا التاريخ من التاريخ الميلادي (20 يونيو عام 1708م).

25) الشظبي، نسبة إلى شظب، وشظب بالتحريك، جبل واسع فيه قرى ومزارع يتبع حالياً محافظة عمران، إلى الشمال الغربي من صنعاء. (أنظر): المقحفي، معجم، 1998م: 365.

26) تكتب الشهادتين على معظم العمائر الزيدية بالصيغ التالية:"لا إله إلا الله محمد رسول الله"، "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله"، "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله فاطمة أمة الله"، "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله فاطمة أمة الله الحسنين صفوة الله عليهم سلام الله". (أنظر: سيف، الأضرحة، 1998م: 165.

وأعلى الشريط السابق شريطان مماثلان يتضمنان بيتين من الشعر:

نص الكتابة ضمن الشريط الأعلى: "إذا شاهدت ضريح يحيى ملكت الخافقين بلا علامة".

ونص الكتابة ضمن الشريط الأسفل: "ويحيى وسيلتي في كل أمر ألم بنا إلى يوم القيامة"[27].

والبيتان السابقان للقاضي أحمد بن يحيى حابس الصعدي. غير أن الكاتب أسقط من البيت الأول كلمة أخلت بوزنه رجحت أن تكون ضمير المخاطب ((أنت))، الذي إن أضيف إلى البيت بعد الفعل والفاعل (شاهدت) استقام وزنه، ويقرأ كما يأتي:

"إذا شاهدت أنت ضريح يحيى ∴ ملكت الخافقين بلا علامة".

ويزدان الجدار الجنوبي على جانبي عقد مدخل قبة الشهداء الطبريين بدائرتين كل دائرة تتضمن أربعة أسطر من الكتابة البارزة بخط الثلث. ويحيط بكل دائرة أطار يتكون من ثلاثة عناصر زخرفية نباتية كل عنصر يتكرر مكوناً دائرة تحيط بالدائرة المتضمنة للكتابة. في الدائرة الخارجية يتكرر عنصر كأسي، وفي الدائرة الوسطى تتكرر ورقة ثلاثية يمتد من كل ورقة الفصان الجانبيان على شكل فرع ينثني ليلتقي بالفرع الممتد من الورقة المجاورة ليؤلفا بينهما شكل دائرة بداخل كل دائرة زهرة ثمانية ضمن التي عن يمين العقد، وزهرة سداسية ضمن الدائرة التي عن يسار العقد.

ونص الكتابة في الدائرة اليمنى:

السطر الأول: "كانت عمارة القبة".

السطر الثاني: "المحسنة [28] بعناية مولانا السيد"[29].

السطر الثالث: "عزالدين محمد بن عبد الله الهدوي[30]".

السطر الرابع: "وكذلك زيد [31]بن".

ويكتمل النص ضمن الدائرة اليسرى:

السطر الأول: "السيد الجليل جمال الدين".

السطر الثاني: "علي بن صلاح الدين الجلال [32]".

السطر الثالث: "وبعنات سيدنا القاضي العلامة".

السطر الرابع: "يحيى بن عبد الله حابس [33]".

وثمة ملاحظات هامة يجدر ذكرها: بعضها يتعلق بمعاني بعض الألفاظ الواردة ضمن النص، وبعضها يتعلق بأسلوب الكاتب في الكتابة، وما يتصل بذلك من وقوعه في بعض الأخطاء.

فبالنسبة لمعاني بعض الألفاظ ورد ضمن النص اللفظ (بعناية)، والمقصود بالعناية الإشراف على العمارة، وليس الأمر بها والإنفاق عليها، بمعنى أن من وردت أسمائهم ضمن النص كانوا مشرفين على العمارة فقط. ويؤكد ذلك أن النص التأسيسي لعمارة القبة [34] يذكر

---

[27] هو القاضي أحمد بن يحيى بن حابس الصعدي اليماني، أحد مشاهير علماء الزيدية، قرأ على كثير من علماء عصره، منهم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، وبرع في كثير من العلوم. وله مصنفات منها: شرح (تكملة الأحكام)، و(شرح الشافية) لابن حاجب، وشرح الكافل، وتكميل شرح الأزهار، والمقصد الحسن. توفى ليلة الاثنين رابع عشر شهر بيع الأول سنة 1061هـ وهو متولياً القضاء. (أنظر: الشوكاني: البدر، ج1، 127. محسن بن القاسم، تاريخ اليمن، 1990م: 28. الحبشي، مصادر، 219.

[28] (المَحْسِنَة)، بفتح الميم وسكون الحاء وكسر السين؛ مفرد (محاسن)، والمحاسن ضد المساوئ، وهي الأعمال الحسنة. والمحاسن في المصطلح المحلي، المنشآت المعمارية التي توقف وتسبل: مثل المساجد والأسبلة والسماسر، وغيرها. وقد تكون المحسنة قطعة أرض توقف لتكون مقبرة لموتى المسلمين. و(المُحَسَّنة) بضم الميم وفتح الحاء وفتح وتشديد السين، من الفعل (حَسَّن)، (يُحَسِّنُ)، أي جعله حسناً وزيناً. والمعنى المقصود في النص، هو التحسين والتجديد. (أنظر): الرازي، مختار، 1987م: 136، 137. ابن هادية، القاموس، 1980م: 281، 1012).

[29] السيد: السيد لغة، المالك والزعيم. وقد أطلق كلقب عام على الأجلاء من الرجال، واصطلح على إطلاقه على أبناء الإمام علي بن أبي طالب ع.[29]. (الباشا، الألقاب، 1987م: 345- 350)

[30] لم أقف له على ترجمة.

[31] لم أقف له على ترجمة.

[32] لم أقف له على ترجمة.

[33] لم أقف له على ترجمة.

[34] سيأتي الحديث عن هذا النص.

صراحة أن الآمر بإعادة ليس واحداً ممن سماهم النص السابق، وإنما هو علي بن أحمد بن القاسم.

وبالنسبة للأسلوب الكاتب؛ فقد اضطره ضيق المساحة المخصصة للكتابة إلى وقوعه في بعض الأخطاء، ويتجلى ذلك في اسم العلم (زيد) في السطر الرابع ضمن الدائرة اليمنى الذي يقرأ (سيد)؛ فقد اضطر الكتاب لضيق المساحة أن لا يترك فاصلاً بين حرف (الزاي) وما يليها؛ فتقرأ الكلمة كأنها (سيد).

وكذلك في كلمة (بعناية) التي وردت في السطر الثالث ضمن الدائرة اليسرى التي كتبت خطأً (بعنات) بتاء مفتوحة، إذ يبدو أن الكاتب نسي أن يكتب حرف التاء المربوطة، ولم يدرك ذلك إلا بعد أن استغرق المساحة المخصصة للكتابة. والواقع أن ذلك ليس قصوراً من الكاتب؛ فقد كتب الكلمة ذاتها صحيحة دون خطأ في السطر الثاني ضمن الدائرة اليمنى.

النص التأسيسي:

يزين جدران القبة، أسفل منطقة الانتقال [لوحة رقم: 9، 10] إزار عريض من كتابة جصية منفذة بخط الثلث بالحفر البارز على مهاد من زخارف نباتية يتضمن النص التأسيسي الخاص بإعادة عمارة القبة. ويبدأ من الطرف الشرقي لجدار القبلة مما يلي الزاوية الشمالية الشرقية، ونص الكتابة كما هي مسجلة:

على الجدار الشمالي:

"﴿بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَحِيْمِ الْحَمْدُ لِلَهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَذِيْنَ اصْطَفَى﴾ (النمل، آية: (59). اعلم أنها اختلت عمارة القبة الأصلية في سنة ثماني ومائة وألف [35] فأمر مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين علي بن أحمد بن...".

وعلى الجدار الغربي:

"أمير المؤمنين حفظه الله بنقضها وتوسيعها فنقضت هي والزيادة التي عمرت بأمر مولانا السيد السامي عز الدين بن الإمام شرف الدين وحصل التحير عند النبش للأساس خشبة أن يوضع على شيء من...".

وعلى الجدار الجنوبي:

"الأرماس [36] لكثرتها حول أساس القبة الأصلية فتيسر بفضل الله وبركاته وحسن المقصد خلو مواضع هذا الأساس عنها مع الإمعان في النبش حسب الإمكان وصح كون...".

وعلى الجدار الشرقي:

"تابوت الإمام الهدي عليلم موضوعاً على ضريحه بمشاهدة الآثار التي تحصل بها اليقين وتمت عمارة القبة والقباب اللاصقة بها على أحسن الوجوه وذلك في شهر رجب سنة ثلاث عشرة ومائة ألف [37]".

والنص لسابق يذكر صراحة أنه جرت إعادة بناء قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق بالكامل، ويؤكد على توسعة القبة دون تحديد للجهة أو الجهات التي جرت فيها التوسعة. غير أنما يهمنا في هذا الصدد؛ هو أن الفترة التي جرت فيها تلك العمارة كانت فيما بين 1108هـ (1696م)، السنة التي اختلت فيها عمارة القبة السابقة، و1113هـ (1701م) السنة التي فرغ فيها من أعمال البناء، وليس كما ذهب أحد الباحثين، الذي نسب عمارة هذه القبة إلى الإمام المهدي علي بن محمد، فيما بين عامي750 و773هـ (1349 و1371م) (سيف، الأضرحة، 1998م: 167، 168).

[35] يقابل هذا التاريخ من التاريخ الميلادي سنة (1696/7م).

[36] (الأرماس)، جمع (رمس)، وهو القبر مستوياً على وجه الأرض. (أنظر: ابن هادية، القاموس، 1980م: 405.

[37] يقابل هذا التاريخ من التاريخ الميلادي، عام 1701م.

منطقة الانتقال: تقوم القبة على منطقة انتقال من مستويين:

المستوى الأسفل: يتكون هذا المستوى من حنايا ركنية تحول بها المعمار من المربع إلى المثمن كل منها تزدان بزخارف إشعاعية تجعلها تتخذ شكل المحارة يتوج كل حنية عقدان مدببان: السفلي يزين واجهته إما زخارف نباتية: تتألف من سيقان متماوجة، تؤلف في الوسط جامات تشغلها أوراق ثلاثية، وأشكال زهور سداسية بين أنصاف مراوح نخيلية كما في الحنيتين الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية أو زخارف هندسية، تتألف من أشكال دوائر تتقاطع وتتداخل، كما في عقد الحنية الركنية الشمالية الغربية، وخطوط متقاطعة تؤلف فيما بينها زخارف تشبه زخرفة السلال، كما في عقد الحنية الركنية الشمالية الشرقية.

وترتد في جدران القبة أربع دخلات، يتوج كلا من الدخلتين الشمالية والجنوبية عقد ثلاثي الفصوص ذو دلايات. يكسو النصف السفلي لتجويف الدخلة الشمالية زخارف هندسية تشبه زخرفة الدقماق، تتألف من أشكال سداسية متداخلة أضلاعها على هيئة فصوص لوزية كل منها يحصر بداخله زهرة ذات ستة فصوص وستة مناطق مثلثة. ويكسو النصف العلوي لهذه الدخلة زخرفة نباتية تتألف من سيقان مزدوجة تؤلف جامة يعلوها ورقة ثلاثية.

ويكتسي تجويف الدخلة الجنوبية بزخارف هندسية، قوامها دوائر أكبرها تلك التي تشاهد بين دلايتي العقد، وتحصر بداخلها زهرة ذات ثمانية فصوص، بينما تحصر الدوائر الصغرى أشكل زهور سداسية. وتزدان الأرجل المتدلية من العقد بزخارف هندسية قوامها معينات.

ويتوج كل من الدخلتين الشرقية والغربية عقدان مدببان يزين وجه العقد السفلي للدخلة الغربية زخارف نباتية هندسية الطابع تتألف من لفائف دائرية تحصر بينها أوراق ثلاثية، وأنصاف مراوح نخيلية. ويزين باطن هذه الدخلة زخارف نباتية تشبه زخارف النصف العلوي للدخلة الشمالية. بينما يزين باطن الدخلة الشرقية زخارف هندسية تتألف من دوائر متماسة تكونت بينها أشكال معينات لها أضلاع مقوسة.

كتابات منطقة الانتقال:

تتألف الزخارف الكتابية لمنطقة الانتقال من أشرطة ممتدة على أوجه العقود العلوية للحنايا الركنية ودخلات الجدران. فضلاً عن شريط أفقي ممتد أعلى الجدران أسفل الحنايا الركنية ودخلات الجدران لا يقطع امتداده إلا الدخلة في الجدار الشمالي تتضمن نصوصاً من القرآن الكريم، وأبيات من الشعر منفذة بالحفر البارز على الجص، على أرضية من زخارف نباتية، بخط ثلث غير متقن يتسم بتداخل كلماته التي يزيد من صعوبة قراءتها الوصل بين كلمات لا يجب الوصل بينها، وأحياناً الفصل بين حروف الكلمة الواحدة، فضلاً عن التماثل في رسم الحروف المتماثلة التي أهمل فيها رسم النقط في الحروف المعجمة، فضلاً عن إثباته للهمزة أحياناً، وإهماله لها أحياناً أخرى.

وثمة أخطاء وقع الكاتب فيها تجدر الإشارة إليها؛ فقد كتب الكلمات التي تنتهي بألف مقصور بألف ممدود: مثل (صلى) كتبها (صلا)، و(على) كتبها (علا)، و(إلى) كتبها (إلا). ونص الكتابة في منطقة الانتقال كما هي مسجلة:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَحْمنِ الرَحِيْمِ. قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُوْنَ. الَذِيْنَ هُمْ فِيْ صَلَوَتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَذِيْنَ هُم عَنِ اللَغْوِ مُعْرِضُون.

وَالَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُون. وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوجِهُمْ حَافِظُوْن. إِلاَ عَلَى أَزْوَاجِهِم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَهُمْ غَيْر مَلُوْمِيْن. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِيْنَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِم يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون. الَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ. وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِيْنٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِيْ قَرَارٍ مَكِيْنٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسُوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِيْنَ﴾ (المؤمنون، آيات: (1-14). على عماد الدين يحيى الذي كنيته الهادي وإن[....] [38] كان اعتمادي إذا نجونا من جحيم تفور[...]من فضله أهلها وقاهم الله جميع[...]فنور سادات الورا حوله لكن نعرف[...]الشمس لا يختفي مرة[...]الجاهل منها الظهور. كانوا نجوماً وهو...".

ويكتمل النص ضمن أشرطة قصيرة ممتدة أسفل الدخلات الأربع، أعلى جدران مربع القبة، بدءاً بالدخلة الغربية، التي يقرأ تحتها:

"شمس الظحا [39] علت[فوادى] [40] نورها كل نور.من[جانا][41]نذكر من فضله رأيته يزخر زخر البحور...".

وأسفل الدخلة الجنوبية:

"صلاة [ربي ثم تسليمه تبقى على الهادي][42]وتفنا العصور...".

وأسفل الدخلة الشرقية:

"قبة قد زيد في بنيانها ولم تزل أنوارها لا تغور...".

وأسفل الدخلة الشمالية التي اختتم أسفلها النص ضمن شريطين أفقيين نقرأ:

"زيادة قد جاء تاريخها ألا إلى الله تصير الأمور".

وعجز البيت الأخير:"ألا إلى الله تصير الأمور" يتضمن تاريخ العمارة الزيادة التي أجرت في القبة، ويمكن استخراجه بحساب الجمل، وهو:(700،66،41،32، 278=1117) [43]. وقد دون هذا التاريخ كتابة على واجهة العقد الأدنى للدخلة الشرقية، ونصه:"في شهر رمضان [44][...]سنة سبعة عشر ومائة وألف[...]حسين بن حسن الشظبي" (سيف، الأضرحة، 1998م: 167، 168).

تضمن النص السابق تاريخ الزيادة كما نص عليه النص الثاني المسجل كتابة. وهو غير التاريخ المسجل ضمن الكتابة التي تعلو النافذتين والمدخل في الجدار الشمالي الذي يؤرخ للفراغ من تجصيص القبة بغرة شهر ربيع الآخر سنة عشرين وماية وألف. وهو أيضاً غير التاريخ الذي تضمنه الإزار العريض أعلى الجدران الذي يؤرخ لإزالة القبة وإعادة بنائها، وهو 1108هـ، 1113هـ (1696/7م، 1701م).

وفي رأي الباحث أنه ليس ثمة تعارض بين تلك التواريخ؛ إذ أن كل منها يؤرخ لعمل أنجز في القبة، سوءاً كان عمارة أو تجصيص أو زخرفة. وأقدم تاريخ فيها سنة 1108هـ التي اختلت فيها عمارة القبة، يليه تاريخ سنة 1113هـ التي جرى فيها إعادة بناء القبة

[38] ما بين الحاصرتين غير مقروء.

[39] أخطأ الكاتب في كتابة كلمة (الضحى) مرتين: الأولى أنه كتبها بحرف (الظاء)، والثانية أنه جعلها منتهية بألف ممدود، والصواب أن تكتب بألف مقصور.

[40] ما بين الحاصرتين كلمة مبهمة، ولعلها (فوارى)، من (وارى) (يواري) الشيء، أي أخفاه؛ قال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِيْ الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِيْ سَوْءَةَ أَخِيْهِ﴾، المائدة آية (30). (أنظر): ابن هادية، القاموس، 1980م: 1301.

[41] ما بين الحاصرتين خطأ من الكاتب، فقد أهمل الهمزة قبل حرف النون، والصواب هو إثباتها.

[42] ما بين الحاصرتين ست كلمات تحجبها لوحة وضعت حديثاً تتضمن دعاء الزيارة، [لوحة 79].

[43] يتم استخراج التاريخ بحساب الجمل باستبدال الحروف بأرقامها المتعارف عليها في (أبجد هوز) ، ومجموع تلك الأرقام يعطي التاريخ.

[44] ما بين الحاصرتين غير مقروء.

على يد علي بن أحمد بن القاسم، يليه تاريخ سنة 1117هـ المسجل على وجه عقد الدخلة الشرقية، الذي يؤرخ لأعمال الجص والزخرفة في منطقة الانتقال، يليه تاريخ سنة 1120هـ المسجل على الجدار الشمالي للقبة، الذي يؤرخ لأعمال الجص والزخرفة التي تمت فيه ربما لتعرض زخارفه الجصية السابقة للتساقط أو لأن الجدار الشمالي ترك غفلاً من الزخارف.

وقد تضمن النص التأسيسي السابق اسم الصانع الذي نفذ أعمال الجص والزخرفة على الأقل في منطقة الانتقال المؤرخة بسنة 1117هـ، وهو نفس الصانع الذي أنجز أعمال الجص والزخرفة المؤرخة بسنة 1120هـ. ويمكن القول إنه ذات الصانع الذي أنجز بقية الزخارف الجصية المنفذة على جدران القبة، ومنها كتابات الإزار الجصي العريض الذي تضمن ذكر زيادة الأمير عز الدين بن الإمام شرف الدين، وإعادة بناء القبة على يد علي بن أحمد بن القاسم نظراً للتماثل الكبير في أسلوب الخط وأنواع الزخارف.

كتابات المنطقة المثمنة:

يمتد أسفل المنطقة المثمنة شريط طويل من الكتابة المحفورة على الجص حفرا بارزاً بخط مماثل لخط الكتابات السابقة يتضمن أبياتاً من قصيدة البسامة [45]لإبراهيم بن محمد الوزير [46]بدأها الصانع بالبيت الثامن في القصيدة، بدءاً من منتصف الضلع الغربي أعلى الدخلة الغربية؛ ونص الكتابة كما هي مسجلة:

"هذا إمام الهدى الهادي المتوج بالعليا أكرم داعٍ من بني مضر".

"من خص بالجفر من أبناء فاطمة ∴.وذي الفقار ومن أروى ظما الفقر".

"وصاحب المذكور في اليمن المشهور من غير لا إفك ولا نكر".

"سارت بمذهبه الركبان واستلمت ∴.بقبره الناس مثل الحجر والحجر"[47].

"وفي ابن فضل [48]ومن لبا لدعوته ∴.وفي مسودة تدعو إلى سقر".

"قضت بتسع مع تسعين معركة [49] ∴.غرٍ كبدر وأوطاس[50]وكالنهر".

"قضى بها نخبة صيد غطارفة [51] ∴.مضوا وأشياع [52]صدق من بني الطبري [53]".

"سايل شباما وصنعا وصعدة مع ∴.نجران عنه وسفح القاع من عصر [54]".

---

45) سبق الحديث عن قصيدة البسامة (راجع) ص 7.

46) سبق التعريف به (راجع) ص7.

47) الأبيات من الأول حتى الرابع سبق التعليق عليها.

48) ابن فضل، هو علي بن الفضل بن أحمد الخنفري، القرمطي، كان اثني عشري المذهب حتى التقى ميمون القداح فتحول إلى المذهب الباطني. توفى مسموماً في المذيخرة دار ملكه سنة 303هـ (915م) (الرازي، تاريخ صنعاء، 1989م: 622. زبارة، أئمة، ج1، 33–41).

49) يريد معارك الإمام الهادي إلى الحق التي خاضها ضد خصومه. (ابن مظفر، الترجمان، ق128أ- 132أ؛ زبارة، أئمة، ج1، 9).

50) (غر) مفردها غرة، وغراء، والغرة، بياض جبهة الفرس، وغرة الشيء، أوله وأكرمه. (ابن هادية، القاموس، 1980م: 725).
(أوطاس)، وادٍ في هوازن جرت فيه وقعة حنين. (الهمداني، الصفة، 1983م: 288. البغدادي، مراصد 1992م: ج1، 132.

51) (صيد)، جمع أصيد، وهو من في عنقه داء لا يستطيع الالتفات منه. والأصيد، هو الأسد. (الفراهيدي، العين، ج7، 143. ابن منظور، لسان العرب، 1990: ج3، 261، 262. زبارة، أئمة، ج1، 10).
(غطارفة)، جمع غطريف، وهو السيد الشريف. (الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص465؛ ابن منظور، لسان العرب، 1990م: ج9، 270).

52) (أشياع) جمع شيعة، والأشياع، الأمثال والأشباه. (ابن هادية، القاموس، 1980م: 540).

53) بنو الطبري، قوم من طبرستان في إيران، جاءوا إلى اليمن مع الإمام الهادي إلى الحق. استشهد منهم كثير في المعارك التي خاضها الإمام الهادي ضد القرامطة، ودفن منهم في المقبرة جنوبي جامع الإمام الهادي (301) رجل، منهم بضعة نفر دفنوا في القبة الجنوبية الملحقة بقبة الإمام الهادي إلى الحق. (ابن مظفر، الترجمان، ق129أ؛ زبارة، أئمة اليمن، ج1، 27. المتميز، جامع، 1997م: 47).

54) (سفح القاع من عصر) ، يريد قاع صنعاء الغربي، أسفل جبل عصر المطل على صنعاء من جهة الغرب. (المقحفي، معجم، 1988م: 448).

"وسل بني يعفر عنه وكندتهم .·. وغلب همدان [55] والأحلاف من بني [مطر][56]".

"تخبرك عن ضربات منه قاطعة .·. قدت دروعاً وأودت كل ذي صعر [57]".

تضمن النص السابق أخطاء إملائية يجدر الإشارة إليها؛ فمن هذه الأخطاء:

-كتابة الألف المقصورة المنتهية ألف مد، كما في الكلمات: (لبا)، و(قضا).

-اعتبر الكاتب نبرة حرف الصاد حرفاً، لذلك لم يكتب الحرف الذي يلي حرف الصاد؛ كما كلمة (صِيد)، التي كتبها (صد) دون حرف الياء. وكلمة (صنعاء) كتبها (صعاء) دون حرف النون.

المستوى الأعلى في منطقة الانتقال:

يتكون هذا المستوى من ست عشرة دخلة يتوج كل منها عقد مدبب، ثمان منها دخلات صماء، والنصف الأعلى لكل دخلة على هيئة حنية ركنية قليلة العمق، وتزدان كل حنية بزخارف إشعاعية تعطيها شكل المحارة، بينما يزخرف النصف الأسفل من كل دخلة زخارف هندسية تماثل زخارف كوشات عقود الحنايا الركنية والدخلات في المستوى الأسفل، وهي:

• أشكال سداسية متماسة الأضلاع يقسم كل منها إلى ست مثلثات ثلاثة أضلاع مزدوجة ممتدة بين زوايا المسدس، ويقسم كل مثلث إلى ثلاثة إلى ثلاث مثلثات مثلث أصغر.

• خطوط متماوجة تتقاطع لتؤلف بينها جامات بداخل كل جامة زهرة سداسية ذات طابع هندسي.

• أشكال نجوم سداسية يتوسط كل نجمة شكل سداسي يشغله زهرة سداسية.

أما الدخلات الثمان الأخرى؛ فترتد في أضلاع المثمن، وتتميز كل دخلة بوجود فتحة نافذة مستديرة يتغشاها عقد من الجص المخرم.

ويزين أوجه عقود الدخلات الست عشرة شريط كتابي يتخذ أشكال تلك العقود، ويتجاوز أرجلها نزولاً ليؤطر بقية الدخلات من كل جانب. وهي كتابة بارزة محفورة على الجص بخط ثلث يماثل خطوط الكتابات السابقة. ويزين مفتاح كل عقد ضمن ذلك الشريط زخارف نباتية، تتألف من أشكال زهور سداسية وثانية الفصوص منفذة ضمن دوائر تقطع سير الكتابة، وتتألف من آيات من القرآن الكريم تبدأ بالبسملة بدءاً من الدخلة الجنوبية.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَحِيْمِ. إِنَ فِيْ خَلْقِ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَيْلِ وَالنَهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ. الَذَيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ قِيَماً وَقُعُوْداً وَعَلَى جُنُوْبِهِمْ وَيَتَفَكَرُوْنَ فِيْ خَلْقِ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَارِ. رَبَنَا إِنَكَ مَنْ تُدْخِلَ النَارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَالِمِيْنَ مِنْ أَنْصَار. رَبَنَا إِنَنَا سَمِعْنَا مُنَادِيَاً يُنَادِيْ لِلإِيْمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِكُمْ فَأَمَنَا رَبَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَكَفِرْ عَنَا سَيِئَاتِنَا وَتَوَفَنَا مَعَ الأَبْرَارِ. رَبَنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَكَ لاَ تُخْلِف الْمِيْعَاد. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُهُمْ أَنِيْ لاَ أُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بِعْضٍ فَالَذِيْنَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا وَأُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوْذُوا فِيْ

(55) (غلب همدان) ، الغلب من القبائل، الغالبة الممتنعة، وهمدان قبيلة يمنية. (الأندلسي، تحفة 1983م: 236. ابن هادية، القاموس، 1980م: 376. المقحفي، المعجم، 1988م: 681–683).

(56) ما بين الحاصرتين كتبت ضمن النص (مضر) والتصويب من الباحث عن البسامة. و(الأحلاف من مطر)، يريد المتحالفون من قبيلة بني مطر مع خصوم الهادي.

(57) (ذي صعر) ، الصعر، بفتحتين وضم، داء في العنق لا يستطاع منه الالتفاف. و(ذي الصعر) هو المتكبر المعجب بنفسه الذي يعرض بوجهه عن الناس إصغاراً لهم وتكبراً عليهم. قال تعالى: ﴿وَلاَ تُصَعِرْ خَدَكَ لِلنَاسِ﴾، (لقمان، الآية (18). (ابن هادية، القاموس، 1980م: 167، 168).

سَبِيْلِيْ وَقَاتَلُوْا وَقُتِلُوْا لأُكَفِرَنَ عَنْهُمْ سَيِئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارِ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَوَابْ. لاَ يَغُرَنَكَ تَقَلُبَ الَذِيْنَ كَفَرُوْا فِيْ الْبِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ثُمَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَمُ وَبِئْسَ الْمِهَادْ. لَكِنِ الَذِيْنَ اتَقُوْا رَبَهُمْ لَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارِ خَالِدِيْنَ فِيْهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ. وَإِنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لمَنَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم خَاشِعِيْنَ للهِ لاَ يَشْتَرُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنَاً قَلِيْلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِهُمْ إِنَ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَاب. يَأَيُهَا الَذِيْنَ آَمَنُوْا اَصْبِرُوا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا وَاتَقُوْا اللهَ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُوْنْ.﴾. (آل عمران، الآيات: 190-200).

زخارف رقبة وبطن القبة:

تغطي الزخارف كل بطن القبة بدءاً من الرقبة أعلى المنطقة المثمنة. وتتألف زخارف رقبة القبة من عناصر يغلب عليها الطابع الهندسي، حتى النباتية، ومنها:

• الأوراق النباتية وحيدة الفص ذات الهيئة الرمحية.

• الورقة النباتية الثلاثية التي تشاهد في أطراف البخاريات التي تزين كوشات عقود الدخلات الست عشر في المنطقة المثمنة. وقد نوع الفنان من أشكال هذه الورقة مثل:

– الورقة الثلاثية المستديرة الفصوص.

– الورقة الثلاثية المدببة الفصوص.

– الورقة الثلاثية المنثنية الفصوص.

• الأوراق النباتية الخماسية الفصوص.

• الزهور السداسية والثمانية وذات الإثنى عشر فصاً التي نفذت ضمن دوائر مختلفة المساحات بعضها لها محيط على شكل إطار يتضمن أنصاف دوائر متصلة على شكل بائكة من عقود.

أما بالنسب للزخارف الهندسية؛ فقد استخدم الفنان الدائرة بإفراط؛ فقد شكل منها الفنان إطارات تحوي العناصر الزخرفية النباتية السابقة، وشكل منها البخاريات. واقتصرت الزخارف الكتابية في منطقة رقبة القبة على كتابة لفظ الجلالة بحجم كبير بالأسلوب الزخرفي الذي تتقاطع فيه أربع مرات كل منها ضمن دائرة.

زخارف وكتابات رقبة القبة:

تتألف زخارف بطن القبة من ثلاثة أشرطة دائرية يصل فيما بينها أشكال زخرفية متنوعة، أفقدها قيمتها الجمالية والفنية الألوان الزيتية في تلوينها.

الشريط الخارجي:

زخارف هندسية تتألف من أشكال معينات في الوسط يكتنفها صفان من المثلثات تكونت جميعها من امتدادا خطان متكسران.

الشريط الأوسط:

يتألف من زخارف كتابية قوامها نص من القرآن الكريم منفذ على الجص بالحفر البارز بخط ثلث غير متقن. ويقسم هذا الشريط إلى أربعة أشرطة أربع دوائر على أبعاد متساوية كل منها يتضمن لفظ الجلالة المتقاطعة أربع مرات. ويبدأ النص القرآني بالبسملة من الشريط الذي يقع أعلى الحنية الركنية الجنوبية الغربية، ونصه:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعَاً مُتَصَدِعَاً مَنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالِ نَضْرِبُهَا لِلنَاسِ لَعَلَهُمْ يَتَفَكَرُون. هُوَ اللهُ الَذِي لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَهَادَة هُوَ الرَحْمَن الرَحِيْم. هُوَ اللهُ الَذِيْ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُوْسُ السَلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيْزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَا يَشْرِكُوْن. هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِحُ لَهُ

مَا فِيْ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَهُوَ الْعَزِيْز الْحَكِيْم.﴾ (الحشر، الآيات: 21-24).

ويصل بين هذا الشريط والشريط السابق ست عشرة جامة يتجلى فيها مهارة الفنان وبراعته في تنفيذ الزخارف المحفورة لا تتشابه فيها اثنتان من حيث شكل كل جامة. ولا تشبه أي منها أي جامة داخل القبة، مما يرجح نسبتها إلى فنانا آخر غير من نفذ بقية زخارف وكتابات القبة؛ فمن هذه الجامات ما يتخذ هيئة ورقة ثلاثية كأسية، ومنها ما يتخذ شكل زهريات، ومنها ما يتخذ شكل ورقة خماسية، وجميعها تتضمن وحدات من زخارف الأرابسك.

الشريط الداخلي:

يتألف من أقواس متصلة ومتقاطعة كل منها ينتهي طرفاه بشكل مثلث على هيئة ورقة رمحية تدور جميعها حول سرة القبة التي زخرفت بدائرة يشغلها زهرة ثمانية يحيط بها إطار من أشكال رباعية أضلاعها مقوسة إلى الداخل، وأيضاً أشكال دوائر متماسة.

ويصل بين هذا الشريط والشريط السابق أشكال زخرفية: بعضها على شكل المشكاوات، وبعضها يتخذ هيئة أوراق نباتية: أربع منها ينتهين عند الشريط الداخلي بأطراف مدببة: اثنتان على شكل ورقة رمحية، وواحدة على شكل ورقة ثلاثية، والرابعة على شكل ورقة خماسية. وتنتهي الأربع الأخرى عند الشريط ذاته بنهايات عريضة: اثنتان منهما لهما هيئة كأسية.

قبة ضريح الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق [شكل رقم: 4]:

توفي الإمام الناصر أحمد بن الهادي سنة 325هـ (937م)، ودفن قريباً من والده إلى الشمال الغربي. وأول من أقام قبة ضريحية على قبره طبقاً للمصادر التاريخية، الإمام المهدي علي بن محمد. والقبة القائمة الآن ليست القبة التي أقامها معمار الإمام المهدي علي بن محمد، فقد أعيد بنائها بعد عمارته مرتين:

الأولى: في شهر رجب سنة 1030هـ (1621م) على يد معمار أحمد بن القاسم، وهي العمارة التي ورد ذكرها ضمن الكتابة المسجلة على الجانب الغربي للتركيبة الخشبية لقبر الإمام الناصر. (المطاع، الهادي، 2000: 251- 254).

الثانية: بين عامي 1108، و1113هـ (1696/7م، و1701م) على يد معمار علي بن أحمد بن القاسم. والقبة القائمة الآن إلى الغرب من قبة الإمام الهادي إلى الحق ترجع إلى هذه العمارة، وتتصل بها عن طريق فتحة العقد في النصف الشمالي من جدارها الغربي. وتقوم على مساحة مربعة طول ضلعها نحو(5,40م) بني عليها قاعة مربعة من الحجر الجيري تغطيها قبة مبنية من الآجر. وتطل شمالاً على الفناء الجنوبي للجامع، وغرباً على ساحة المقابر الجنوبية الغربية. وسأتحدث عن كل واجهة بالتفصيل.

القبة من الخارج:

الواجهة الشمالية:

تطل الوجهة الشمالية للقبة على الفناء الجنوبي للجامع، ويبلغ طولها نحو(5,40م). وتشكل مع الواجهة الشمالية لقبة الإمام الهادي واجهة واحدة إلا أنها أقل ارتفاعا، حيث لا يتجاوز ارتفاعها دون القبة نحو(4,60م). وتتميز بكتلة المحراب التي تبرز عن سمتها بنحو(1,15م)، ويبلغ طول ضلعها الموازي للواجهة نحو(1,65م)، وارتفاعها نحو(1,90م). وتنتهي من أعلى بقبة نصف كروية. ويتوج مل من الركنين الشمالي الشرقي، والشمالي الغربي لكتلة المحراب شرافتان ركنيتان من النوع المدرج.

كتب على الواجهة الشمالية لكتلة المحراب [لوحة رقم:13] على قطعة من الحجر بالحفر البارز بخط الثلث النص القرآني التالي:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَلَوَاتِ وَالصَلَوَةِ الْوُسْطَى وَقُوْمُوْا للهِ قَانِتِيْن﴾. (البقرة، آية: 238).

وتتميز الواجهة الشمالية للقبة الضريحية بوجود صدر يبرز خلف قبة المحراب إلى الخارج قليلاً، يرتد في وسطه دخلة عميقة مستديرة غير نافذة. ويخترق الواجهة على جانبي كتلة المحراب نافذتان بمشبكات حديد. ارتفاع كل منهما نحو(1,30م)، واتساع النافذة الشرقية كتلة المحراب نحو(70سم)، واتساع النافذة الغربية نحو(65سم). يغلق على كل نافذة مصراعان خشب يماثلان نوافذ قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق.

ويعلو كل نافذة دخلة صماء يتوجها عقد نصف دائري به تدبيب خفيف، ويزين بطن الدخلة الشرقية شريط بارز يكون عقداً زخرفياً مدبباً. ويزين بطن الدخلة الغربية شكل شمسة غائرة، الحافة الداخلية لمحيطها مسننة، يتوسطها بروز رماني الشكل.

ويزين الواجهة أسفل صف الشرافات التي تتوجها حطة من مسننات حجرية.

الواجهة الغربية [لوحة رقم: 14]:

تطل الواجهة الغربية على ساحة المقابر الجنوبية الغربية. ويفتح عليها في هذه الواجهة مدخل اتساعه نحو(1,10م)، وارتفاعه نحو(2,15م)، وعمقه نحو(65سم) يفضي خارجاً إلى ممر ممتد بين المقابر، ويغلق فتحته باب خشبي من مصراعين أكبرهما الأيمن يزدان كل منهما بثلاثة صفوف أفقية من مسامير كبيرة الرؤوس.

ويعلو فتحة هذا المدخل عنب طويل من الحجر، كتب عليه بخط الثلث بالحفر البارز النص القرآني: ﴿لَهُمْ دَارُ السَلاَمُ عِنْدَ رَبِهِمْ وَهُوَ وَلِيِهُمْ بِمَا كَانَوْا يَعْمَلُوْن.﴾ (الأنعام، آية: (17). ولا يستعمل هذا المدخل في الدخول والخروج في الوقت الحاضر. وكان يستخدم في الدخول إلى القبة عندما كان يشتد الزحام داخل قبة الإمام الهادي والقبتين الأخريين.

ويفتح في هذه الواجهة إلى الجنوب من المدخل نافذة بمشبكات حديد اتساعها نحو(70سم)، وارتفاعها نحو(1,15م). تتميز هذه الواجهة عن الواجهة الشمالية بوجود فتحتين مستطيلتين أعلى كل من المدخل والنافذة لا يتجاوز اتساع كل منهما أكثر من(15سم)، وارتفاع كل منهما نحو(35سم).

ويرتد في الواجهة فيما بن الفتحتين الصغيرتين دخلة مستديرة عميقة تماثل تلك التي ترتد في الواجهة الشمالية خلف كتلة المحراب. وتشبهها أيضاً تلك الدخلات المستديرة المرتدة ضمن الدخلات المعقودة التي تعلو نوافذ الواجهة الشمالية لقبة ضريح الإمام المختار [لوحة رقم: 15]. وذلك يؤكد على أن قبة ضريح الإمام الناصر أعيد بناؤها على يد معمار الأمير علي بن أحمد بن القاسم. وتنتهي الواجهة من أعلى بصف من مقرنصات مسننة تبرز بقمة الواجهة إلى الخارج قليلاً.

الواجهة الجنوبية:

بنيت الواجهة الجنوبية من الحجر الجيري، وتطل على ساحة المقابر الجنوبية الغربية. ويبلغ طولها نحو (5,50م)، وارتفاعها نحو(4,47م). يفتح في طرفها الغربي مدخل صغير اتساعه نحو(70سم)، وارتفاعه نحو(1,90م) يغلق عليه باب خشبي من مصراع واحد يفضي خارجاً إلى ممر عرضه نحو(1.35م) يمتد

بين صفين من القبور: شرقي، وغربي بكل صف أربعة قبور يجمع كل منها مصطبة واحدة. وهذا المدخل خاص بزوار هذه المجموعتين من القبور من المنتسبين إليهم. ويزين هذه الواجهة قرب القمة صف مقرنصات هو في الواقع امتداد لصفي المقرنصات في الواجهتين الشمالية والغربية.

وتنتهي الواجهات الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية من أعلى بصف من شرافات سهمية الشكل يتميز صف الشرافات أعلى الواجهتين الشمالية والجنوبية بوجود ما يشبه النافذة في منتصف كل صف؛ في حين يتميز صف الشرافات أعلى الواجهة الغربية بوجود نافذتين يتوج كل منهما عقد مدبب.

ويغطي قاعة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي قبة عالية مبنية من الآجر قطاعها على شكل عقد مدبب تنتهي من أعلى بإناء مقلوب من نحاس على شكل الجرة. وحين أعيد تكسية السطح الخارجي للقبة زخرف الجزء الشمالي منها [لوحة رقم: 14] بأشكال عقود زخرفية لم يتقن الصانع تنفيذها، وعلى وجه كل عقد كتب العبارات:"ما شاء الله لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله فاطمة أمة الله الحسنان صفوة الله عليهم سلام الله".

وترتكز القبة على رقبة مستديرة ارتفاعها نحو(75سم) ترتد فيها أربع عشرة دخلة، وكان يتوج كل منها عقد مدبب غيرت أعمال الإصلاح الأخيرة من أشكال معظمها؛ فحولتها إلى عقود نصف دائرية بها تدبيب خفيف، وفتح في سبع منها قمريات دائرية فتحاتها ستائر جصية مخرمة ومعشقة بالزجاج الملون. وفي رأيي أن المعمار أكثر من عدد الدخلات في رقبة القبة_شأنه في ذلك شأن قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق _حتى يخفف من ثقل القبة على الجدران لاسيما على الفتحات المعقودة داخل القبة.

القبة من الداخل:

تشغل تركيبة قبر الإمام الناصر جزءاً من المساحة الداخلية لقاعة القبة. وتلتصق واجهتها الجنوبية بالجدار الجنوبي لقاعة القبة، وتبعد واجهتها الشمالية عن جدار القبلة بنحو(2,25م)، ويبعد جانبها الغربي عن الجدار الغربي لقاعة القبة بنحو(1,10م). والجدار الشرقي للقبة مفتوح بأكمله على قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق. ويلاحظ أن جدار القبلة البالغ سمكه نحو(60سم) يقل عن سمك جدار قبلة ضريح الإمام الهادي، ولذلك يبدو كأنه يرتد قليلاً عند اتصاله بجدار قبلة ضريح الإمام الهادي. والواقع أن المعمار تعمد ذلك لسببين:

1-لأن القبة التي تغطي القاعة ليست من الضخامة بحيث تتطلب جدراناً لها سمك جدران قبة ضريح الإمام الهادي.

2-لزيادة مساحة قاعة القبة من الداخل، التي شغل جزءًا منها تركيبة قبر الإمام الناصر.

وللقبة محراب عميق يرتد في جدار القبلة بعمق نحو(1,40م). وهو عمق لا يساويه فيه محراب أي قبة ضريحية، وارتفاعه نحو(2م)، واتساعه نحو(1م)؛ يكتنف تجويف حنيته النصف أسطوانية عمودان مدمجان قطاع كل منهما نصف دائرة يرتكز عليهما عقد طاقية المحراب، وهو عقد مدبب ذو مركزين. أما طاقية المحراب فعبارة عن قبة نصف كروية تخلو وتجويف المحراب من أي زخارف. والواقع أنه لا توجد قبة ضريحية لها محراب له ذلك البروز وذلك العمق، وتغطيه قبة كاملة. وتقوم قبة الضريح من الداخل على

أربع حنايا ركنية، تخلو وجدران، وبطن القبة من أي زخارف.

القبة الضريحية الجنوبية (قبة ضريح شهداء الطبريين) [شكل رقم:4]:

اختلفت الروايات الإخبارية في تحديد موقع قبر الإمام المرتضى محمد بن الهادي إلى الحق فيما بين القبة الضريحية الجنوبية، وقبة ضريح والده الإمام الهادي إلى الحق. على أن أغلب الروايات تجمع على أنه دفن إلى جوار أبيه من الجنوب يجمعهما تابوت واحد (الوزير، كاشفة الغمة، خ، برقم: 2609): 11. ابن مظفر، الترجمان، خ، برقم: 1476، 133. الجنداري، الجامع، خ، برقم: 2524، 33. ابن الحسين، أنباء الزمن: 37. الزحيف، مآثر الأبرار، 2002م: 610-612. الحوثي، النقل الموجز: 2. المتميز، الهادي، 1987م: 47، 63).

ولذلك فليس من المقبول نسبة القبة الضريحية الجنوبية إلى الإمام المرتضى وقبره ليس فيها. وطبقاً لما جاء في المصادر التاريخية؛ فإن هذه القبة أقيمت على عدد من قبور تضم بعض الشهداء الطبريين ممن استشهدوا في معارك خاضوها مع الإمام الهادي إلى الحق. ويبدو أن الإمام الهادي الذي اختصهم بالصحبة منذ قدموا معه من طبرستان اختصهم أيضاً بدفنهم في موقع قريب من المكان الذي دفن فيه هو بعد ذلك. (ابن مظفر، الترجمان، خ، برقم: 1476: 129. ابن أبي النجم، درر الأحاديث، 1982م: 2-4. زبارة، أئمة: ج1، 26. الحوثي، النقل الموجز: 16. المتميز، الهادي، 1987م: 56، 123، 124). وتقع هذه القبة جنوبي قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، وتتصل بها عن طريق فتحة معقودة في جدارها الجنوبي. وتطل غرباً على امتداد ساحة المقابر الجنوبية الغربية، وجنوباً على مساحة من الأرض تفصل الجامع عن المقبرة الواقعة إلى الجنوب منه، وشرقاً على رحبة الدفن الواقعة جنوبي قبة ضريح الإمام المختار [لوحة رقم: 16].

وتقوم على مساحة مربعة أبعادها من الداخل نحو(3,30م)، وتجدر الإشارة إلى أن المعمار لم يهتم ببناء واجهات هذه القبة كونها لا تطل على فناء الجامع، ولذلك فقد بنيت جدرانها من حجر جيري غير منحوت، وغطيت بكسوة من الجص نفذ ليها الصانع زخارف محفورة، تتألف من خطوط تتفرع منها أوراق نباتية ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية بالإضافة إلى أشكال نجوم سداسية.

ويبلغ طول الواجهة الغربية، نحو(4,20م)، وارتفاعها نحو(4,40م). وتطل غرباً على ساحة المقابر الجنوبية الغربية، ويبلغ طول الواجهة الجنوبية نحو(4,15م)، وتطل جنوباً على مساحة من الأرض، شمالي مقبرة الطبريين. وقد ترك المعمار هذه الواجهة دون كسوة، وليس بها ما يجدر ذكره إلا مجرى تصريف رأسي من القضاض ملتصق بالواجهة لتصريف مياه الأمطار المتجمعة على السطح. ويتوج الواجهتين الغربية والجنوبية صف من شرافات ثلاثية تساقط بعضها. ويغطي قاعة الضريح قبة نصف كروية تقوم على حنايا ركنية تخلو والقبة من الداخل من أي زخارف.

قبة ضريح الإمام المختار بن الناصر [58] [شكل رقم:4، لوحة رقم: 15]:

(58)الإمام المختار لدين الله القاسم بن محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق. لم أقف له على تاريخ مولد. دعا لنفسه عقب وفاة أبيه الناصر، معارضاً أخيه المنصور يحيى، وعارضهما في الدعوة لنفسه أخوه الحسن بن الناصر الذي لجأ إلى الحرب ضدهما؛ فتصدى له المختار، واعتزل المنصور الحرب، بعد أن اشتدت ضراوة بين شقيقيه، لاسيما بعد استعان الحسن بزعيم همدان الضحاك بن قيس صاحب ريدة،

تعد قبة المختار أكثر القباب ازدحاماً بالقبور؛ إذ تتضمن سبعة قبور أقدمها قبر المنتصر محمد بن المختار المتوفى سنة 365هـ(976م). أما المختار الذي توفى مقتولاً في سجنه بريدة سنة 345هـ (956م)؛ فلم ينقل رفاته إلى قبره في هذه القبة إلا في سنة 368هـ (979م). (زبارة، أئمة، ج1: 69. المتميز، الهادي، 1987م: 67- 69).

وتتصل بقبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق عن طريق فتحة العقد في الجدار الشرقي لقبة ضريح الإمام الهادي. وتقوم على قاعة تخطيطها مستطيل الشكل تنقسم معمارياً إلى قسمين:

•قسم غربي مربع التخطيط طول ضلعه نحو(3,20م)، تغطيه قبة نصف كروية.

•قسم شرقي متصل بالقسم الغربي تخطيطه مستطيل طول ضلعه من الشمال إلى الجنوب نحو(3,20م)، وعرضه نحو(1م)، يغطيه سقف مسطح.

وفيما يلي دراسة للقبة:

تطل القبة على الخارج بواجهتين: شمالية وجنوبية.

الواجهة الشمالية [لوحة رقم: 15]:

تطل الواجهة الشمالية على الفناء الجنوبي، ويبلغ طولها نحو(4,70م)، وارتفاعها نحو(4,50م). فتح فيها ثلاث نوافذ اتساع كل من النافذتين المفتوحتين أسفل القبة نحو(60سم)، وارتفاع كل منهما نحو(80سم). ويغلق فتحة كل نافذة مصراعان من الخشب يليهما من الداخل مشبكات من الحديد. ويعلو كل نافذة دخلة صماء مستديرة. وتفتح النافذة الثالثة في الواجهة ليطل من خلالها القسم الشرقي من قاعة الضريح. وترتد الواجهة عند هذا الجزء إلى الداخل بحوالي(25سم). ويتوج هذا الارتداد عقد قوسي يشبه العقد العاتق [59]. والواقع أن المعمار أحدث هذا الارتداد لسببين:

الأول: لوجود مدخل قبة ضريح علي بن صلاح الذي كان ستمر خلاله الواجهة لو لم يرتد بها المعمار قليلاً.

الثاني: ليميز الجزء الشرقي من القاعة ذو السقف المسطح، وربما ليدلل على أنه يرجع إلى عمارة أخرى.

وتنتهي الواجهة بصف من زخارف مسننة تبرز بقمتها إلى الخارج قليلاً مكونة حاجز السطح الذي ترتفع فوقه قبة نصف كروية مبنية من الآجر المكسو من الخارج بطبقة من القضاض تزدان بزخارف قالبية نباتية تتألف من سيقان تنتهي بأوراق ثلاثية فضلاً عن أشكال عقود متكررة تؤطر عقود النوافذ.

وتطل القاعة شرقاً من خلال الجدار الشرقي للقسم الشرقي عبر نافذتين: الشمالية تفتح على قبة ضريح علي بن صلاح، واتساعها نحو(60سم)، وارتفاعها نحو(1م). وتفتح النافذة الجنوبية على قاعة ضريح الحسين بن علي بن أحمد بن القاسم الملحقة بقبة ضريح علي بن صلاح [60]، واتساعها نحو(80سم)، وارتفاعها نحو(1,20م)، ولكل نافذة مشبكات من الحديد.

وللقبة واجهة جنوبية مبنية من كسر الأحجار، على غرار الواجهة الجنوبية لقبة الشهداء الطبريين. تطل جنوباً على رحبة الدفن الواقعة جنوب هذه القبة[لوحة16]. ويبلغ طول هذه الواجهة نحو(5,50م)، وارتفاعها نحو(4,90م)، يفتح في

الذي تمكن من أسر المختار، وسجنه في حصن ريدة، ومن ثم قتله في سجنه سنة 345هـ (859م). وظل جثمانه بريدة حتى نقله إلى صعدة الإمام يوسف الداعي ابن أخيه الإمام المنصور يحيى، بعد مضي 25 سنة، ودفنه في قبره حيث هو الآن. الخزرجي، الكفاية، خ: 41. زبارة، أئمة: ج1، 56 – 69. المتميز، الهادي، 1987م: 67 – 69).

(59) العقد العاتق، جزء من دائرة، عمله تخفيف الحمل ونقله بعيداً عن الأعتاب حتى لا تنهار. وأقدم أمثلته في العمارة الإسلامية وجد في قصر الحير الشرقي 110هـ (729م). (لمعي، التراث، 1984م: 81).

(60) عن هذه القبة (المطاع، الهادي، 2000م: 200).

منتصفها نافذة ذات مشبكات من الحديد، تطل من خلالها قاعة القبة على رحبة الدفن.

والقبة من الداخل محمولة على الجدارين الشمالي والجنوبي، وعلى عقدين نصفي دائريين: الغربي يفتح على قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق. والعقد الشرقي يفتح على القسم الشرقي ذو السقف المسطح من القاعة. وتتكون منطقة انتقال القبة من أربع حنايا ركنية. والقبة وجدران القبة من الداخل خالية من أي زخارف.

الخاتمة:

أرجعت الدراسات الأثرية السابقة أقدم قبة ضريحية تقام على قبر الإمام الهادي إلى الحق إلى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (24م)، وأن الإمام المهدي علي بن محمد أول من أقام تلك القبة. وقد أمكن للباحث اعتماداً على ما ورد في بعض المصادر التاريخية التأكيد على أنها مرت قبل ذلك بمرحلتين من العمارة، وبذلك تكون قد مرت بست مراحل من العمارة، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، وهذه المراحل هي:

1-عمارة الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق: وترجع إلى الربع الأول من القرن الرابع الهجري (10م). وقد أمكن للباحث عمل تخطيط لهذه القبة من وصف موجز لما كانت عليه؛ في كتاب مطلع البدور، لابن أبي الرجال.

2-عمارة القاضي مطهر بن تريك: أمكن للباحث إرجاعها إلى الربع الأول من القرن الثامن الهجري (14م). وقد أمكن للباحث عمل تخطيط لهذه القبة من وصف موجز لما كانت عليه؛ في كتاب مطلع البدور، لابن أبي الرجال.

3-عمارة الإمام المهدي علي بن محمد: ورد في المصادر التاريخية أن من أعمال المهدي علي بن محمد في جامع الإمام الهادي إلى الحق، العمارة على المشاهد المقدسة، ولم تفصل نوع تلك العمارة، ولا أي من المشاهد التي أقيمت عليها تلك العمارة. وقد أمكن للباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية التعرف على تلك العمارة، ومقدارها، وأنه قام ببناء قبة ضريحية على قبر الإمام الهادي إلى الحق، وألحق بها قباب ثلاث: هي قبة ضريح ابنه الناصر أحمد، وقبة الشهداء الطبريين، وقبة ضريح المختار بن القاسم، من خلال الكتابة الأثرية المسجلة على جدران قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق من الداخل، التي تؤرخ لقيام علي بن أحمد بن القاسم، بإعادة بناء قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، بعد اختلال عمارتها والقباب اللاصقة بها، كما ورد في الكتابة، التي نصت أيضاً على أنه جرى التحري لتتبع أساس القبة والقباب اللاصقة بها.

4-زيادة عز الدين بن الإمام شرف الدين: هي ذلك الجزء الصغير ذو السقف المسطح المضاف إلى قبة ضريح المختار بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق من جهة الشرق. وهي التي ورد ذكرها دون تحديد لمقدارها، ولا أين تمت! ضمن الكتابة التأسيسية المسجلة على جدران قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق. وقد أمكن للباحث تحديد مكانها، ومن ثم التعرف على مقدارها من خلال الدراسة الميدانية.

5-عمارة أحمد بن القاسم: وقد أمكن للباحث التعرف عليها من خلال الكتابة الأثرية المسجلة في الجانب الغربي لتركيبة قبر الإمام الناصر أحمد،

التي نصت على أن قبة ضريح الناصر أحمد وتركيبة قبره من أعمال أحمد بن القاسم. لكن نظراً لاتصال هذه القبة معمارياً بقبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق بواسطة عقد مفتوح بين القبتين؛ فإن إعادة بناء قبة ضريح الناصر يتطلب نقض عمارتها لبنائها من جديد، وذلك بالضرورة سيؤثر على عمارة قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق. وعليه فقد رجحت أن عمارة أحمد بن القاسم اقتصرت على إعادة بناء خوذة القبة.

6-عمارة علي بن أحمد بن القاسم: وهي العمارة التي ترجع إليها قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق والقباب الملحقة بها القائمة الآن.

مصادر ومراجع البحث:

[1] **إبراهيم أحمد المطاع**، جامع الإمام الهادي إلى الحق والمنشآت المعمارية الملحقة به في مدينة صعدة، دراسة أثرية معمارية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، 2000م.

[2] **إبراهيم بن القاسم**، (ت1150هـ)، طبقات الزيدية الكبرى، تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م، صنعاء.

[3] طبقات الزيدية الكبرى، طبقات الزيدية الكبرى، مخطوط محفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم (2514) تاريخ وتراجم.

[4] **إبراهيم المقحفي**، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1988م.

[5] **إبراهيم جمعة، (دكتور)**، دراسة في تطور الكتابة الكوفية، دراسة في تطور الكتابة الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، دار الفكر العربي.

[6] **ابن إسحق، التذكرة**، الجزء الأول، أئمة أهل البيت، مخطوط، محفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم 2527 تاريخ.

[7] **الجرموزي، مطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله، (1077هـ)**، النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة في أخبار الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، مخطوط مصور، نشر مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء.

[8] **ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي، (ت 690هـ)**، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة تاريخ المستبصر، تصحيح أوسكار لوفغرين، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1407هـ/1986م.

[9] **ابن مظفر، (ت 926هـ)**، الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان، مخطوط، محفوظ بمكتبة الجامع الكبير، صنعاء، برقم (1476) تاريخ وتراجم

[10] **ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت711هـ)**، لسان العرب، دار الفكر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.

[11] **أثير الدين الأندلسي**، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م

[12] **الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت بعد 350هـ): ـــ**، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الثالثة، 1403هـ/ 1983م.

[13] **أحمد بن أحمد بن محمد المطاع**، تاريخ اليمن الإسلامي، من سنة 204هـ/1006م، منشورات المدينة، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1407هـ/1986م.

[14] **أحمد بن عبد الله الجنداري**، (ت 1337هـ)، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، مخطوط، محفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم (2524) تاريخ وتراجم.

[15]**أحمد بن صالح بن أبي الرجال**، (ت1102هـ)، مطلع البدور ومجمع البحور، مطبوع، أربعة أجزاء، تحقيق عبد الرقيب مطهر حجر، مركز أهل البيت عليه السلام للدراسات الإسلامية، صعدة، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2004م، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، بيروت

[16]**أبو العباس أحمد بن عبد الله الرازي**: (ت 406هـ)، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1989م.

[17]**أحمد محمد الشامي**، تاريخ اليمن الفكري، في العصر العباسي، (132_565هـ/750_1259م)، السفر الأول، توزيع دار النفائس، بيروت الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.

[18]**الخليل بن أحمد الفراهيدي**، كتاب العين، منشورات دار الهجرة، قم، الطبعة الثانية، 1410.

[19]**إسماعيل بن علي الأكوع**، ـــ هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، 1416هـ/1995م.

[20]**بربارة فنستر**، ـــ، مسجد الصومعة في حوث، بحث في كتاب تقارير أثرية، نشر المعهد الألماني للآثار، صنعاء، ترجمة عبد الفتاح البركاوي .

[21]جامع ظفار ذيبين، بحث في كتاب تقارير أثرية من اليمن، نشر المعهد الألماني للآثار، صنعاء، ترجمة عبد الفتاح البركاوي.

[22]**جمال عبد الرحيم**، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية الباقية من العصر المملوكي البحري، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار قسم الآثار الإسلامية، 1406هـ/1986م.

[23]**جيميت وبولس بونانفان**، فن الزخرفة الخشبية في صنعاء، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1989م.

[24]**حسن الباشا، (دكتور)**، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987.

[25]مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1990م.

[26]موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م.

[27]**حسين عبد الرحيم عليوة**، الخط، بحث منشور في كتاب القاهرة، تاريخها، آثارها، فنونها، القاهرة، 1972م.

[28]الكتابات الأثرية العربية، بحث في المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلدان الثلاثون والواحد والثلاثون، 1983–1984م، مطبعة الجبلاوي، 1984م.

[29]**حسين عيظة الشعبي**، المقامة الصعدية في مساجد صعدة، مقامة أدبية، مخطوط، نسخة محفوظة لدى الباحث عن الأصل المحفوظ لدى المؤلف.

[30]**حسين عيظة الشعبي**، مدينة صعدة عبر أطوار التاريخ، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة السابعة، 1409هـ /1989م.

[31]**الخليل ابن أحمد**، كتاب العين

[32]**ربيع حامد خليفة**، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

[33]توقيعات الصناع على الآثار والفنون اليمينة، مجلة الإكليل، العدد السادس، 1408هـ/1988م.

[34]**زكي محمد حسن**، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، 1946م

[35]**صالح لمعي مصطفى**، التراث المعماري الإسلامي في مصر، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1984.

[36]**صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي**، (ت 739هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

[37]**عبد الرحمن عبد الله الحضرمي**، مدينة السلام، صعدة، مجلة اليمن الجديد، تصدر عن وزارة الإعلام

الثقافة، صنعاء العدد السادس، السنة الخامسة عشر، شوال 1406هـ/يوليو 1986م.

[38]**عبد الفتاح شايف نعمان**، الإمام الهادي والياً، وفقيهاً، ومجاهدا، الطبعة الأولى، 1410هـ/1989م.

[39]**عبد الله الحبشي**، حكام اليمن المؤلفون والمجتهدون، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م.

[40]مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

[41]**عبد الله حسين المتميز**، جامع الإمام الهادي عبر التاريخ، مركز النور للدراسات والبحوث والتحقيق، صعدة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

[42]**عبد اللطيف إبراهيم، (دكتور)**، سلسلة الدراسات الوثائقية، (1)، (2)، الوثائق في خدمة الآثار، العصر المملوكي، بحث في كتاب دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 1979.

[43]**علي سعيد سيف**، الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري (10م)، حتى نهاية القرن العاشر الهجري (16م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم الآثار، 1998م.

[44]**علي بن محمد العباسي العلوي، (ت نهاية القرن الثالث الهجري)**، سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1392هـ/ 1972م.

[45]**علي بن هادية وآخرون**، القاموس الجديد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1980.

[46]**عماد الدين الحبسي**، تتمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مخطوط محفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم (2483)، تاريخ وتراجم.

[47]**عيسى بن لطف الله شرف الدين**، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتوح، تحقيق إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للنشر والدراسات، صنعاء، لطبعة الأولى 1424هـ/2003م.

[48] (ت1048هـ)، روح الروح فيما جرى بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح، مخطوط مصور، نشر وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، الطبعة الثانية،1401هـ/1981م.

[49]**فريد شافعي، (دكتور)**، العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، الطبعة الأولى، 1982م.

[50]العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970م.

[51]الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي، فصلة من مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع عشر، ج2،يسمبر، ، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1952م.

[52]**كمال الدين سامح، (دكتور)**، العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.

[53]العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.

[54]**ماريا نوطاراويل**، التعريف بفن الشعارات الإسلامية، بحث في كتاب دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 1979.

[55]**مجد الدين بن محمد بن منصور الحسني المؤيدي**، التحف شرح الزلف، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

[56]**حسام الدين محسن بن القاسم، (ت1170هـ)**، تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول من سنة 1056هـ- 1160م، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطابع المفضل صنعاء، الطبعة الأولى، 1990/1411م.

[57]**محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت 650هـ)**، مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، 1407هـ/ 1987م.

[58]**محمد رضا**، الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

[59]**محمد سيف النصر أبو الفتوح،(دكتور)**، دراسة لمجموعة من شواهد القبور، كلية الآداب، جامعة صنعاء، كلية الآداب، جامعة أسيوط، 1984م.

[60]**محمد محمد أمين، (دكتور)، وليلى إبراهيم**، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، (548– 923هـ/1259– 1517م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، 1990م.

[61]**محمد محمد زبارة**، أئمة اليمن، الجزء الأول، مطبعة النصر، تعز.

[62]خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى، 1424هـ–2003م.

[63]نبلاء اليمن بالقرن الثاني عشر للهجرة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة 1375هـ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، 1405هـ/1985م.

[64]نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، 1405هـ/1985م.

[65]**محمد الحجري**، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية.

[66]مساجد صنعاء، عامرها وموفيها، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1398هـ.

[67]**محمد بن إسماعيل الكبسي، (ت1308هـ)**، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة.

[68]**محمد بن علي الشوكاني، (ت 1250هـ)**، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت.

[69]**محمد بن محمد الحوثي**، النقل الموجز لأسماء المشاهد، مخطوط يضمن تراجم للمدفونين بمشهد الهادي إلى الحق، وبعض المدفونين بمقبرة القرضين بصعدة، عن نسخة مصورة محفوظة لدى الباحث، عن الأصل المحفوظ لدي الأخ محمد الهاشمي، صاحب مكتبة دار التراث، بصعدة.

[70]**مصطفى عبد الله شيحة، (دكتور)**، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1992.

[71]دراسة تاريخية، وأثرية لشواهد القبور الإسلامية المحفوظة في متحف قسم الآثار بكلية الآداب، جامعة صنعاء،1984م.

[72]شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن، الجزء الأول، مكتبة مدبولي، القاهرة 1988م.

[73]المدخل إلى العمارة والفنون في الجمهورية اليمنية، وكالة اسكرين، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987م.

[74]أضواء على تاريخ العمارة الدينية في عصر بني رسول، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الثالث، يوليو، 1988م.

[75]بعض التأثيرات الأسيوية على العمارة والفنون في اليمن، مجلة المؤرخ المصري، يوليو 1988.

[76]**نور الدين محمد بن علي بن يونس الزحيف بن فند**، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، ويسمى اللواحق الندية بالحدائق الوردية (شرح بسامة صارم الدين الوزير)، تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه، خالد قاسم المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، صنعاء 1423هـ/ 2002م.

[77]مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، مخطوط، محفوظ بمكتبة الجامع الكبير، صنعاء، برقم (2605) تاريخ وتراجم.

[78]**يحيى بن الحسين، الإمام الهادي إلى الحق، (ت298هـ)**، درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية، جمعها عبد الله بن حمزة بن أبي النجم الصعدي، تحقيق يحيى عبد الكريم الفضيل، مكتبة السنحاني، صنعاء، الطبعة الثانية، 1403هـ/1982م.

[79] **يحيى بن الحسين ابن القاسم، (ت 1100هـ)**، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: د. سعيد عاشور، مرجعة: د. محمد مصطفي زيادة، نشر دار الكاتب العربي، للطباعة والنشر، القاهرة، 1388هـ/1968م.

[80]أنباء أبناء الزمن، مخطوط، عن نسخة مصورة فوتوغرافيا، محفوظة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم (2427) تاريخ وتراجم، عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية.

[81]المستطاب في تراجم علماء الزيدية الأطياب، مخطوط، عن نسخة مصورة محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء.

[82]**يحيى بن الحسي ابن المؤيد**، أنباء الزمن في أخبار اليمن، من سنة 280– سنة 322هـ، صححه ووضع حواشيه، وقدم له: محمد عبد الله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية.

[83]**الهاروني، يحيى بن الحسين بن هارون**، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، (340– 424هـ)، حققه وعلق عليه محمد يحيى سالم عزان، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1996م.

[84]الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مخطوط محفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

خامساً _ المراجع الأجنبية

أ _ الكتب

[1] Guillemette Et Paul Bonnenfants, Les Vitraux De Sana'a Conter De Sechorches Archaeologiques Editions Du CNRIS, Paris, 1981.
[2] K.A.K. Creswell, James. W. Allan; A Short a Count of Early Muslims Architecture, The American University in Cairo, Press, 1989.
[3] Lucien Golvin, Thula Architecture Urbanism, Paris, 1984.
[4] Paul Bonnenfant, Les Maisons Tours De Sana'a, Presses Du Cnrs, 1989.
[5] R. B. Serjeant, South Arabian Hunt, Luzac, London,1979.
[6] Andre Gingrich and Johann Heiss, A note On Traditional Agricultural Tools in Sa'dah Province "Proceeding of The Seminar for Arabian Studies. Institute Of Archaeology, London,Vol. 16- 1986.
[7] Barbara Finster, An Outline of the History of Islamic Religious Architecture in Yemen, Mugarnas, Edited by Oleg Grabur, 1992, Vol,9.
[8] ----------"Die Grab Das Imam Salah Ad-din", Archöologische Berichte Aus Dem Yeman, Band, III, 1986.
[9] ----------"Die Masgid Al-Abhar in sana'a", Verlage Philippe Zabern,Mainz An Rhein, Band III 1986 .
[10] ---------- "Die Masgid Al-Abhar in sana'a", Verlage Philippe Zabern,Mainz An Rhein, Band III 1986.
[11] Johann Heiss, "Historical and Social Aspects of Sa'da , A Yemen Town", Proceeding of Seminar for Arabian Studies, institute of Archaeology. London, Vol. 17, 1987.
[12] ----------" Sa'da Eine Stadt an der Weihrauchctrasse in Jemen Im land der Konigin Von Saba Museum für Völker Kumde Wien, 1990.
[13] The Italian Archaeological Activities in the Yemen, East and West, ISMEO, New Series, Vol. 4, 1985.

الملحقات:

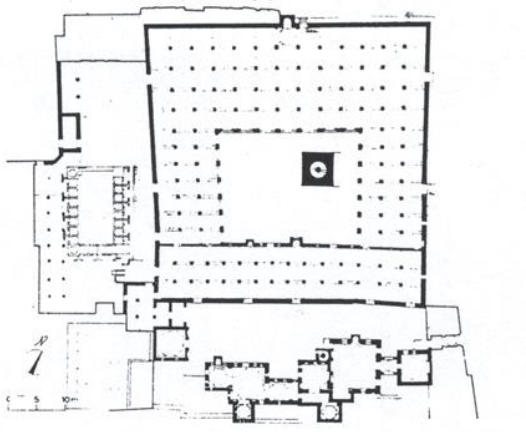

شكل رقم: (1)، صعدة، جامع الإمام الهادي إلى الحق، المسقط الأفقي للجامع وملحقاته، عن التقرير الإيطالي:

The Italian Archaeological Activities

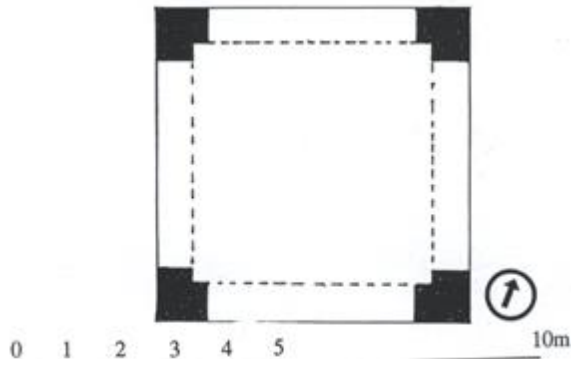

شكل رقم: (2) إعادة تصور (للمسقط الأفقي) لقبة ضريح الهادي في عهد ابنه الناصر أحمد. (من عمل الباحث).

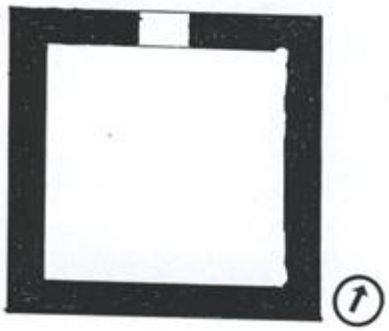

شكل رقم: (3) إعادة تصور (للمسقط الأفقي) لقبة ضريح الهادي، بعد عمارة القاضي مطهر بن تريك.(من عمل الباحث).

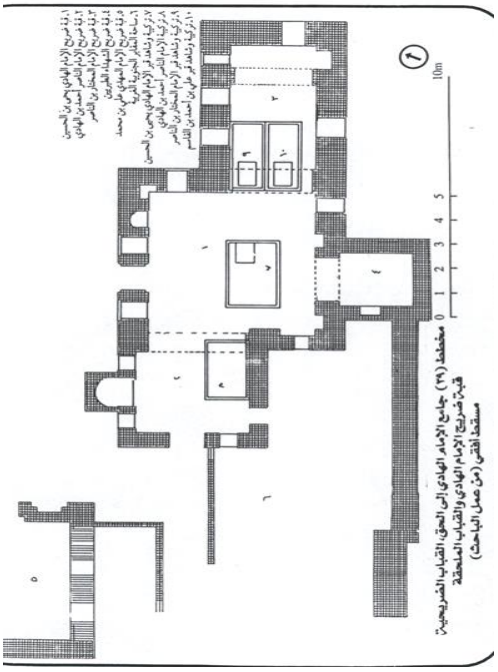

شكل رقم: (4) مسقط أفقي لضريح الإمام الهادي إلى الحق، والقباب الملحقة بها. (من عمل الباحث).

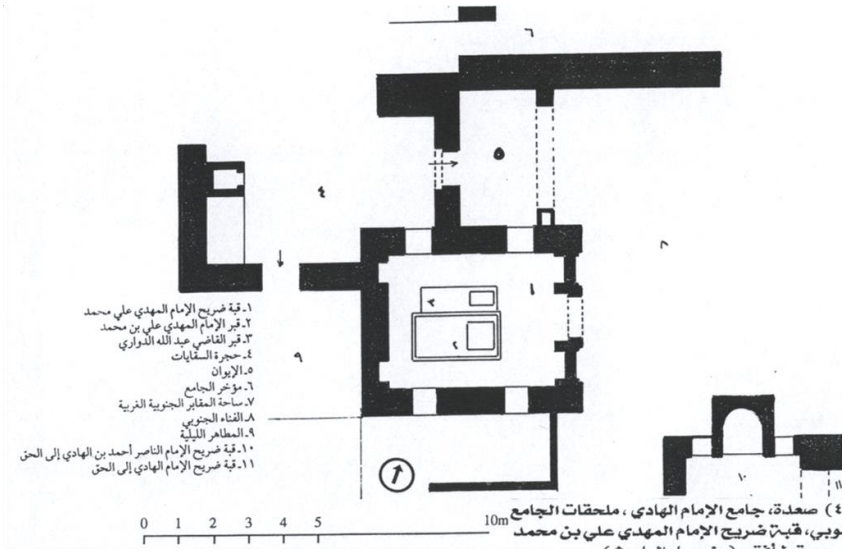

شكل رقم: (5) مسقط أفقي لقبة ضريح الإمام المهدي علي بن محمد. (من عمل الباحث).

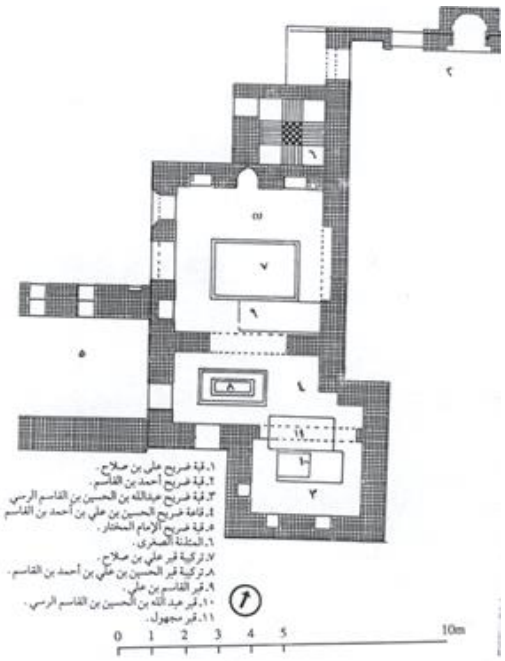

شكل رقم: (6) مسقط أفقي لقبة ضريح علي بن صلاح وملحقاتها. (من عمل الباحث).

شكل رقم: (7) مسقط أفقي لقبة ضريح أحمد بن القاسم وملحقاتها. (من عمل الباحث).

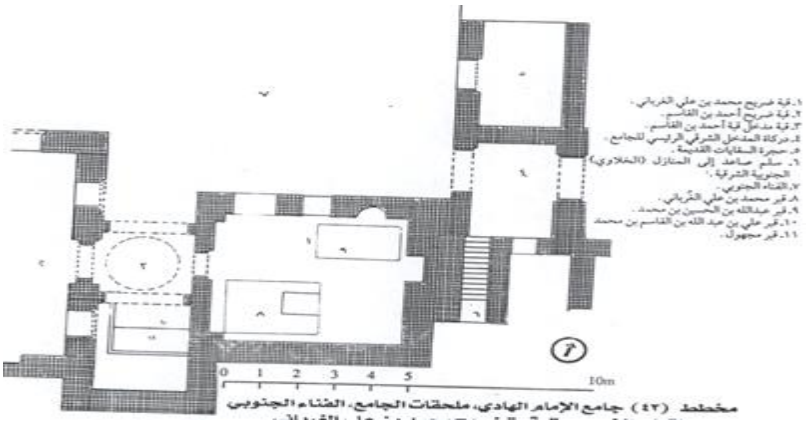

شكل رقم: (8) مسقط أفقي لقبة ضريح محمد بن علي الغرباني. (من عمل الباحث).

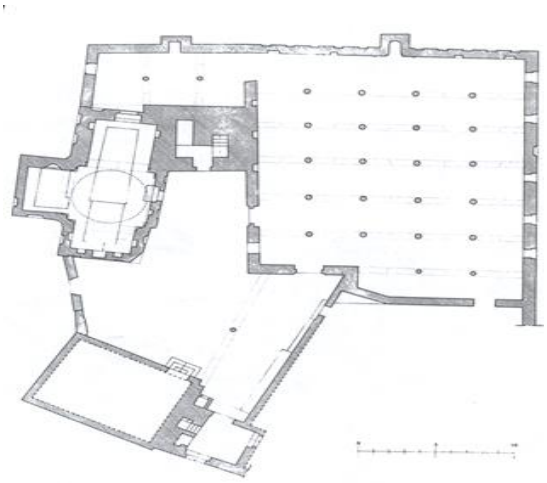

شكل رقم: (9) صنعاء، مسجد الإمام الناصر صلاح الدين، مسقط أفقي للمسجد والقبة الضريحية عن: Barbara Finster

شكل رقم: (10) ضريح الإمام الهادي، الواجهة الشمالية، كتابات صدر المدخل. (تفريغ من عمل الباحث).

شكل رقم: (11) قبة ضريح الإمام الهادي، كتابات الواجهة الشمالية. (تفريغ من عمل الباحث).

شكل رقم: (12) قبة ضريح الإمام الهادي، الواجهة الشمالية، كتابات كنة المدخل. (تفريغ من عمل الباحث).

شكل رقم: (13) قبة ضريح الإمام الهادي، كتابات رقبة القبة من الخارج. (تفريغ من عمل الباحث).

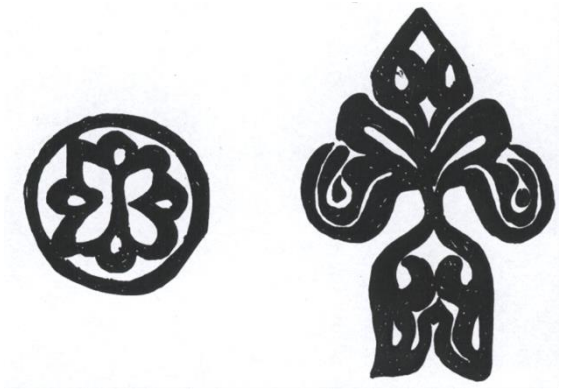

شكل رقم: (14) قبة ضريح الإمام الهادي، زخارف رقبة القبة من الخارج. (تفريغ من عمل الباحث).

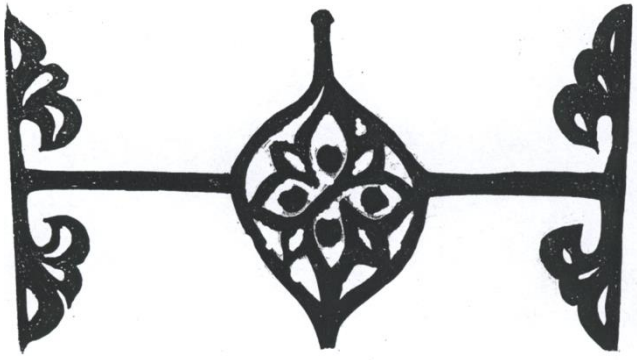

شكل رقم: (15) قبة ضريح الإمام الهادي، زخارف رقبة القبة من الخارج. (تفريغ من عمل الباحث).

شكل رقم: (16) قبة ضريح الإمام الهادي، كتابات رقبة القبة من الداخل. (تفريغ من عمل الباحث).

لوحة رقم: (1)، صعدة، مقبرة القرضين، القباب الضريحية.

لوحة رقم: (2) جامع الإمام الهادي إلى الحق، الفناء الجنوبي، ملحقات الجامع، القباب الضريحية.

لوحة رقم: (3)، قبة ضريح الإمام الهادي، الواجهة الشمالية، المدخل.

لوحة رقم: (4): الواجهة الشمالية، قبة ضريح الإمام الهادي، المدخل.

لوحة رقم: (5): الواجهة الشمالية، قبة ضريح الإمام الهادي، المدخل، كتابات عقد وكنة المدخل.

لوحة رقم: (6): الواجهة الشمالية، قبة ضريح الإمام الهادي، المدخل، كتابات كنة المدخل، (تفصيل).

لوحة رقم: (7): قبة ضريح الإمام الهادي، زخارف وكتابات رقبة القبة من الخارج.

لوحة رقم (8): قبة ضريح الإمام الهادي من الداخل، زخارف وكتابات الجدار الشمالي، أعلى المدخل، تاريخ الفراغ من أعمال الجص والزخرفة.

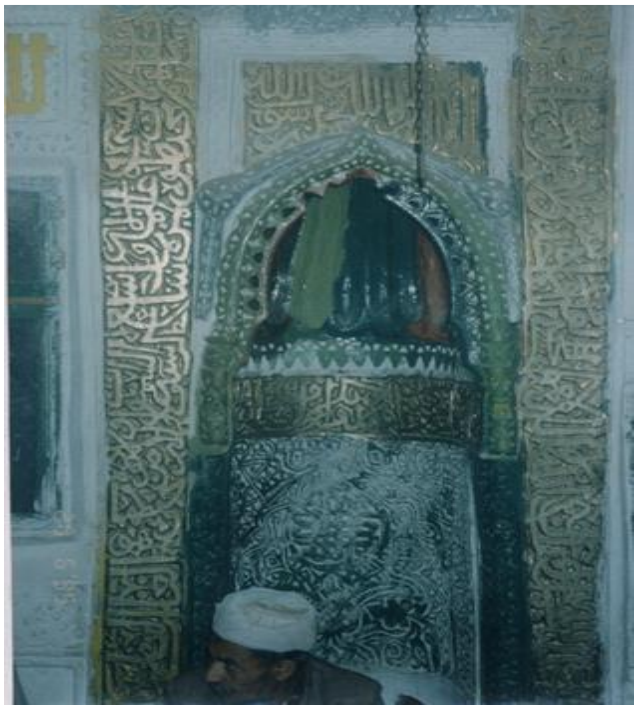

لوحة رقم: (9): قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، الجدار الشمالي، المحراب.

لوحة رقم: (10): قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، زخارف وكتابات القبة من الداخل.

لوحة رقم (11): قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، زخارف وكتابات القبة من الداخل.

لوحة رقم (12): قبة ضريح الإمام الهادي إلى الحق، زخارف وكتابات بطن القبة من الداخل.

لوحة رقم: (13): قبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق، الواجهة الشمالية، كتلة المحراب.

لوحة رقم (14): قبة ضريح الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق، الواجهة الغربية، المدخل.

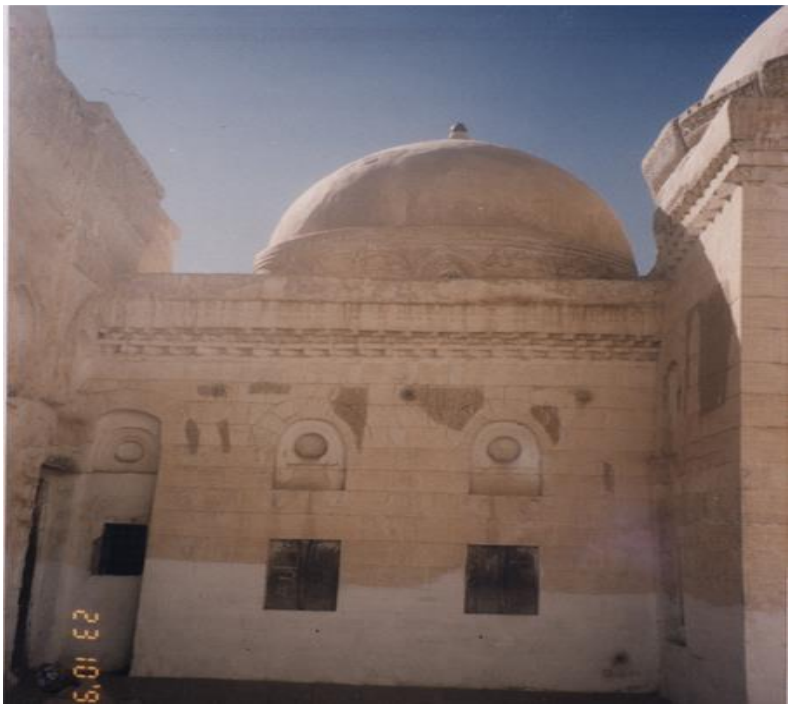

لوحة رقم: (15): قبة ضريح الإمام المختار بن الناصر، الواجهة الشمالية.

لوحة رقم: (16): ساحة الدفن جنوب قبة المختار.